جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

القيم الإنسانية العليا ونماذجها البدئية في المثل الشعبي الفلسطيني

إعداد
أماني حسن محمد حمد

إشراف
أ. د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس–فلسطين.

2025

القيم الإنسانية العليا ونماذجها البدئية في المثل الشعبي الفلسطيني

إعداد

أماني حسن محمد حمد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2025/04/16م، وأجيزت:

أ. د. إحسان الديك	
المشرف الرئيسي	**التوقيع**
أ. د. عمر عتيق	
الممتحن الخارجي	**التوقيع**
أ. د. خليل عودة	
الممتحن الداخلي	**التوقيع**
د. عبد الخالق عيسى	
الممتحن الداخلي	**التوقيع**

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

القيم الإنسانية العليا ونماذجها البدئية في المثل الشعبي الفلسطيني

إعداد

أماني حسن محمد حمد

إشراف

أ. د. إحسان الديك

بناء على تعليمات منح درجة الدكتوراة الصادرة عن مجلس عمداء جامعة النجاح فقد تم نشر البحث التالي المستل من الأطروحة

حمد، أماني حسن، والديك، إحسان. (2025). *قيم الخير وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني –دراسة استقرائية تحليلية–*، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 12، المجلد التاسع.

الإهداء

إلى كل من ينادي باسم الإنسانية

إلى كل من في قلبه خير كثير وجمال وفير وحق جميل

إلى زوجي النائم –شفاه الله– شريك النجاح وصاحب الفضل العظيم

إلى والديّ –مد الله في عمريهما–

أمي الجبل الذي لا يميل

أبي السند الكبير

إلى خالتي أمي الثانية النبيلة في شكلها ومضمونها

إلى زهرة الأوركيد إلى ابنتي

إلى عصفوريّ الحب في قلبي إلى ولديّ

إلى جارات القمر أخواتي

إلى أخي هاني الذي لم تلده أمي

إلى حارس الأدب القديم وباعث الجمال وناثر الأمل الأستاذ الدكتور إحسان الديك

إلى كل من وهبني كلمة فلقت غياهب اليأس والألم؛ لأمضي قدما وأصل إلى ما أريد

إليكم جميعا أهدي لذة نجاحاتي وإنجازاتي وأعظمها هذه الدراسة...

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الجميل والعرفان الكبير إلى:

حارس الأسطورة وراعي الأدب القديم إلى شيخي في العربية الأستاذ الدكتور إحسان الديك؛ لما قدمه من دعم ونصح لتكتمل لوحتي، ولولا جهوده الموصولة لما اكتملت أركان تلك اللوحة ولم تبرز جمالياتها.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الأطروحة التي تحمل عنوان:

القيم الإنسانية العليا ونماذجها البدئية في المثل الشعبي الفلسطيني

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الأطروحة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الأطروحة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالبة: **أماني حسن محمد حمد**

التوقيع: أماني حمد

التاريخ: **2025/04/16**

فهرس المحتويات

جامعة النجاح الوطنية ..... ج
كلية الدراسات العليا ..... ج
الإهداء ..... د
الشكر والتقدير ..... هـ
الإقرار ..... و
فهرس المحتويات ..... ز
فهرس الملاحق ..... ط
الملخص ..... ي
المقدمة 1
القيم الإنسانية العليا ونماذجها البدئية في المثل الشعبي الفلسطيني 8
تمهيد 8
الفصل الأول: القيم الإنسانية المشتركة في أصولها الأولى 15
مدخل: دور الأساطير في تشكيل الوعي بالقيم العليا 15
المبحث الأول: القيم الإنسانية في التوراة والإنجيل 17
أولا: القيم الإنسانية في التوراة 17
ثانيا: القيم الإنسانية في الإنجيل 21
المبحث الثاني: القيم الإنسانية العربية الإسلامية 29
القيم والدين الإسلامي 29
القرآن الكريم والقيم الإنسانية 30
الفصل الثاني: قيم الحق في المثل الشعبي الفلسطيني 32
المبحث الأول: مقاييس الحق وتجليها في المثل الشعبي الفلسطيني 32
مدخل 32
مقاييس الحق وتجلياتها في المثل الشعبي 33
أولا: الوضوح 34
ثانيا: مقياس النفع 36
ثالثا: مبدأ التحقق 38
رابعا: الاتساق 39
المبحث الثاني: وجوه الحق في المثل الشعبي الفلسطيني 41
مظاهر قيم الحق في المثل الشعبي الفلسطيني 41

وجوه الحق وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني 42
أولا: قيمة العدل 42
ثانيا: قيمة الصدق 45
ثالثا: قيمة الأمانة 46
رابعا: قيمة الشجاعة 48
الفصل الثالث: قيم الخير في المثل الشعبي الفلسطيني 52
المبحث الأول: معايير الخير وتجلياتها في المثل الشعبي 52
مقاييس الخير 53
أولا: مذهب السعادة 53
1- مذهب السعادة الشخصية 55
2- مذهب السعادة العامة أو مذهب المنفعة 56
ثانيا: مذهب التبصر والنباهة 60
المبحث الثاني: أنواع الخير وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني 65
أولا: الخير الفطري أو الكمال الإنساني 65
ثانيا: الخير الأخلاقي 69
ثالثا: الخير النفعي 74
الفصل الرابع: قيمة الجمال وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني 79
المبحث الأول: طبيعة الجمال وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني 79
المبحث الثاني: تقويم الجمال وتجلياته في المثل الشعبي الفلسطيني 88
الخاتمة 94
قائمة المصادر والمراجع 97
الملاحق 112
Abstract ..... B

فهرس الملاحق

ملحق (أ): شهادة قبول نشر البحث المستل من الأطروحة 112

القيم الإنسانية العليا ونماذجها البدئية في المثل الشعبي الفلسطيني

إعداد

أماني حسن محمد حمد

إشراف

أ. د. إحسان الديك

الملخص

حرصت الدراسة على ترسيخ البعد الإنساني والمفهوم الفلسفي العميق للقيم الإنسانية العليا بواسطة نماذجها البدئية عامة، وتأصيلها في التراث الشعبي تحديدا المثل الشعبي الفلسطيني خاصة، كما ألقت الضوء على المشترك الكوني وتجذّره في تلك القيم بين الشعوب.

تختلف الشعوب في درجة التغني بتلك القيم، أو بمقدار التمسك بها، أو في ماهية تطبيقها، ولكن مما لا خلاف فيه أنها جميعا تمتلك تلك القيم وتطبقها وإن تفاوتت بدرجات هذا التطبيق.

وجاءت الدراسة بين التنظير والتطبيق؛ فتناولت ثالوث القيم الإنساني عند بارتن بيري، وهي قيم الخير والحق والجمال، واتّخذت من المثل الشعبي الفلسطيني أرضية خصبة للتطبيق، فالمثل الشعبي الفلسطيني على الرغم من قصره إلا أنه يحمل معاني عميقة تجاوزت حدود الزمان والمكان، وهو مصدر مهم لتلك القيم ومنهل حقيقي لها؛ لأنه حاضنة جامعة لحكمة الأجداد، وحقل لتجاربهم الحياتية ومواقفهم اليومية كل ذلك بفطرتهم السليمة وبساطة فكرهم.

دار الفصل الأول حول القيم الإنسانية لدى بعض الشعوب القديمة، وفي الديانات السماوية، وجاءت الفصول الثلاثة الأخرى وتحدثت عن تلك القيم وتجليات كل واحدة منها في المثل الشعبي الفلسطيني، حيث ناقش الفصل الثاني قيم الحق في المثل الشعبي الفلسطيني، ووقف الفصل الثالث عند قيم الخير في المثل الشعبي الفلسطيني، ورصد الفصل الرابع قيم الجمال في المثل الشعبي الفلسطيني.

وخصت الدراسة القيم الإنسانية لدى الشعب الفلسطيني، وأكدت أن هذا الشعب كغيره من الشعوب ينادي بقيم الحق والخير والجمال ويتمسك بها، وأنه شعب محب للسلام، ومناصر للحق، ومؤيد للخير، ومقدر للجمال.

وقصدت الدراسة إلقاء الضوء على مشكلة القيم ومأزقها عند بعض الحضارات القديمة، حتى وقتنا هذا بوساطة الثنائيات الضدية، فلا يوجد خير مطلق ولا حق مطلق ولا جمال مطلق، وفي المقابل نجد الشر مثلا وجد منذ بدء الخليقة حين قتل قابيل أخاه هابيل.

لا ترمي الدراسة إلى بناء مدينة القيم الفاضلة، وإنما حاولت التركيز على القيم الإنسانية العليا، وإلقاء الضوء عليها أكثر من أضدادها، من خلال المثل الشعبي الفلسطيني، في محاولة لتوضيح العلاقة بين الموروث الإنساني/ القيم، والموروث الشعبي/ المثل؛ لضمان استمرارها في الوقت الذي تتعرض فيه لمأزق تقويضها.

الكلمات المفتاحية: القيم الإنسانية، قيم الحق، قيم الخير، قيم الجمال، المثل الشعبي الفلسطيني، المشترك الكوني، الثنائيات الضدية.

المقدمة

دارت الدراسة حول موضوع إنساني فلسفي تعنى به الإنسانية جمعاء، على مر العصور، على الرغم من اختلاف الأزمان والأمكنة، واختلاف الأديان، وتنوع العقائد، وهو موضوع القيم الإنسانية العليا، من حيث أصولها الأولى، وتجذيرها من خلال نماذجها البدئية في الفكر القديم، وفي الأدب الشعبي الفلسطيني، تحديدا المثل الشعبي الفلسطيني.

يمتلك الشعب الفلسطيني كغيره من الشعوب الإنسانية، قيما إنسانية، وفضائل قيمية، وليس كما تزعم رواية الآخر وقصديتها، التي ما انفكت تعمل جاهدة على دحض هويته، وتجريده من إنسانيته، وتخليصه من أحقيته ووجوده في الأرض.

وتنبع أهمية الدراسة من أهمية القيم، التي تعد من أهم الموروثات الإنسانية التي يجدر الوقوف عندها، وتجذيرها، وترسيخها، وضمان استمرارها، وكذلك الوقوف على أهم مصادرها وهو الموروث الشعبي الإنساني، تحديدا المثل الشعبي، بالكشف عن بعض جوانب الفكر الإنساني لدى الإنسان القديم، وقيمه العليا التي تضمنها الأدب الشعبي، ففيه تكمن فطرة الإنسان وبساطته على عكس التعقيد والتكلف الذي نجده في الأدب الرسمي، وإحياء الماضي فيما يخدم الحاضر ويفيد المستقبل، من خلال عصرنة هذا التراث، ونبش المسكوت عنه، وكشف المشترك بين الأمم، وإثبات إنسانية الإنسان الفلسطيني الذي يملك من القيم ما يجعله يتربع على عرش الإنسانية، ويتألق في سماء المثل، ويغوص في أعماق القيم.

وهدفت الدراسة إلى الكشف عن الموروث الشعبي الأدبي، وبيان مصادره في الثقافات الإنسانية، والتأكيد على أهمية الأدب الشعبي في خلق جسر ثقافي للتواصل بين الشعوب.

كما هدفت إلى الوقوف عند القيم العليا في الأدب الشعبي، من خلال بيان تأثير ذلك الموروث في الفكر الإنساني، وكذلك الوقوف عند القيم المشتركة بين الأمم، وتعزيز دور الأدب الشعبي الفلسطيني في الثقافات الشعبية الإنسانية، والوقوف عند القيم الإنسانية الكونية المشركة في الأمثال الشعبية الفلسطينية.

بالرغم من الانتشار الواسع للأمثال الشعبية الفلسطينية واستخدامها اليومي في الخطاب الاجتماعي، إلا أن تمثلات تلك القيم في هذه الأمثال لم تُدرس بالقدر الكافي من التحليل الثقافي، مما يثير تساؤلات حول طبيعة هذه القيم، وكيفية بنائها في الوعي الشعبي، والأدوار التي تؤديها في تشكيل سلوك الأفراد والمجتمع، ويتمحور سؤال الدراسة الرئيس في السؤال التالي:

كيف تتجلى القيم الإنسانية في المثل الشعبي الفلسطيني، وما دلالاتها الثقافية والاجتماعية؟

ومنه تتدرج الأسئلة التالية:

1. ما دور الموروث الشعبي الأدبي في صياغة النماذج العليا للقيم الإنسانية؟
2. ما القيم الإنسانية عند الإنسان القديم وأصولها الأولى بدءا من المجتمعات البدائية حتى عصرنا هذا؟
3. ما أنواع القيم الإنسانية؟ وما أهميتها؟ وكيف تجلت في الموروث الإنساني؟
4. ما المشترك بين الأمم في تجلي القيم الإنسانية؟ وما الأصول المشتركة الأولى؟ وما معايير قبولها وجعلها مشتركا؟
5. ما القيم الإنسانية في المجتمع الفلسطيني، وكيف ارتبطت بجذورها الأولى؟
6. هل كان للأساطير دور في توجيه القيم الإنسانية العليا؟
7. ما الأساطير المشتركة التي أسهمت في تشكيل الموروث القيمي في الفكر الإنساني الكوني؟
8. كيف تجلت القيم الإنسانية في المثل الشعبي؟
9. ما أنواع هذه القيم في المثل الشعبي؟
10. كيف شكل المثل الشعبي رافعة فنية لهذه القيم؟

واعتمدت الرسالة على ثالوث قيم إنسانية خالدة، جمعت تحت رايتها القيم الإنسانية العليا كافة، وهي قيم الحق، وقيم الخير، وقيم الجمال، وتوضيح نماذجها البدائية في الفكر القديم، وتوظيفها في المثل الشعبي الفلسطيني، الذي يتربع على عرش الأدب الشعبي، ويعد من أشهر أنواعه، فلا يكاد يخلو موقف منه؛ فهو دائم الذكر والوجود، وبهي الحضور.

واعتمدت الرسالة منهج النقد الثقافي، أما فيما يتعلق في الدراسات السابقة، فقد عادت الباحثة إلى دراسات عدة، أهمها:

1. الديك (2023)، القيم الكونية بين الشعر والأسطورة قراءة في الأصول، مجلة تطريس.

تعد هذه الدراسة الأولى من نوعها في الكشف عن القيم الإنسانية وعن أصولها الأولى، كما سعت إلى نفض الغبار عن الفطرة البشرية، وكشف المشترك الإنساني وإعادة بعثه، وتوكيد استمراره في اللاوعي الجمعي البشري، حيث توقفت عند مفهوم القيمة، وأصولها، كما تناولت كونية القيمة بين الأسطورة والشعر، وأكدت الدراسة أن القيمة ليست في فرديتها، وإنما في شمولها ونفوذها إلى أعماق النفس البشرية، إلى الإنسان ككل.

2. الديك (2013)، الموروث الشعبي الفلسطيني قراءة في جذوره الأولى، دار الشامل.

تعد هذه الدراسة من أحدث الدراسات وأعمقها حول الموروث الشعبي الفلسطيني، وجاءت لكشف اللثام عن كل ما يشوه الموروث أو يشكك في قيمته؛ فحاولت أن ترد الحقوق إلى أصحابها عن طريق نبش المسكوت عنه حول هذا الموروث، ووضعه في المنزلة التي يستحق، وتثبيت أصوله الأولى وما أزهر من فروع، تلك الفروع التي تؤكد عدم موت هذا الموروث سواء شاء مبغضيه أم أبوا.

وأكدت الدراسة أهمية حفاظ الشعوب على موروثها الذي يعد الهوية التي تضمن الحقوق والبقاء، أما الشعب الفلسطيني فله وضع خاص يجعله أكثر اهتماما بالموروث وأكثر تمسكا بما يضمن تعزيز الدور الحضاري والفكري والثقافي للفلسطيني، والرد على رواية الآخر التوراتية والاستشراقية.

3. زين الدين (2020)، الأدب الشعبي تثقيف وإمتاع (الأمثال والطرائف)، مجلة أوراق الثقافية.

ربطت الدراسة الماضي بالحاضر، وأعادت ترميم العلاقة بين أجيال اليوم وأجيال الأمس؛ لما في ذلك من آثار إيجابية تخدم الحاضر والمستقبل من خلال الماضي، فالأدب الشعبي هو الرابط الصحي والحيوي بين

الأزمنة، وهو حاضن مشاعر الإنسان في فرحه وحزنه، ومعين لفهم إنسانيته، ويسهم في بناء حضارة إنسانية راقية.

وركزت الدراسة على نوعين من الأدب الشعبي؛ وهما: الأمثال الشعبية سجل ردع وتوعية، والثاني الطرائف الشعبية حاضنة رقي الإنسانية، وأكدت في النوع الأول أن الأمثال الشعبية هي لغة الناس وروح المجتمع، وأنها جزء من واقع لا يموت، في النوع الثاني ركزت على مظهر من أرقى مظاهر الإنسانية وهو الضحك الذي يعد شكلا من أشكال التعبير عن مظاهر الفرح والسعادة، ويساعد في التخلص من المشاعر السلبية وتجاوز المحن، وهو جواز سفر إلى القلوب، تقرب المسافات ووجهات النظر، وعليه هو نوع من أنواع العطاء والصدقة والكرم، ودليل على إنسانية الإنسان ومظهر من مظاهر رقيه.

4. صالح (2018)، فاعلية الأدب الشعبي وحركيته (في إشكالية المناهج وثراء الخصائص مع نماذج مختارة)، مجلة الثقافة الشعبية.

أسهمت هذه الدراسة بالكشف عن نماذج حية من خصائص الأدب الشعبي لإثبات حيوية هذا الأدب، وهو ليس مرتبطا باليوميات والأمور الحياتية فقط، وإنما له ارتباط عميق بالذائقة الفنية، وإذا تعمقنا قليلا نجد له ارتباطا عميقا أيضا في تشكيل الوعي، وبلورة النظرة إلى الإنسان والوجود.

دعت الدراسة إلى ضرورة إعادة إحياء التراث لدى الأجيال الجديدة وتعديل النظرة المغلوطة لهذا الأدب، وتأكيد ديمومته وصلاحه في كل زمان ومكان.

وسعت الدراسة إلى طرح إشكالية خصائص الأدب الشعبي، وإيضاح نماذج مختارة وتتبع المتغيرات المستجدة.

5. نمر (2018)، الفلكلور، سلسلة التراث الشعبي الفلسطيني.

اهتمت الدراسة بالفلكلور نشأته وتعريفه، وتناولت التراث الشعبي وأهمية دراسته، كذلك عنيت بالأدب الشعبي مفهومه ومضمونه وسماته ووظائفه، واهتمت بدراسة التراث الشعبي التي تكمن في التوازن بين القيم المادية، والقيم الإنسانية؛ لأن طبيعة العصر الذي نعيش فيه تتسم بالمادية والتقدم العلمي والتكنولوجي، والانفتاح في ظل فقر القيم الإنسانية، ولا بد للمجتمع إذا أراد التحضر أن يسير في خطين متوازيين بين القيم المادية، والقيم الإنسانية، وأن يوازن بينهما.

6. منظومة القيم الإنسانية في الثقافة الشعبية الإماراتية، 2013.

تعنى هذه الدراسة بالقيم السلوكية المستمدة من الموروث الشعبي بعده ركيزة الماضي وقاعدة انطلاق المستقبل، كما أكدت ضرورة وجود منظومة أخلاقية وسلوكية تواجه فيها الشعوب الرياح العاتية التي تستهدف كيانها، وتكون قاعدة لانطلاقها وأساسا في تحقيق نهضتها، وهذه المنظومة أي منظومة القيم الأخلاقية والإنسانية توارثتها الأجيال وحافظت عليها، ولكن هناك دوما خطر يهدد تلك المنظومة، يأتي غالبا من الخارج في ظل الانفتاح، وتمدد الثقافة والعولمة، واجتياح ثقافة مغايرة، وهنا تصبح ضرورة حماية هذا الموروث واجبا، وعرضت الدراسة جملة من الأسباب التي تؤكد حتمية حماية منظومة القيم الإنسانية المستمدة من الثقافة الشعبية وتنميتها.

7. كناعنة (2011)، الثقافة والتراث والهوية، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

تدور الدراسة حول الثقافة والتراث والهوية، فهذه الموضوعات الثلاثة هي جوانب مختلفة للموضوع نفسه، أو هي من وجهة النظر الفلسفية ثلاثية نظم تجريدية للواقع الإنساني نفسه، فهي ظواهر إنسانية متداخلة ومتلازمة لا يمكن الفصل بينها، وهذا الترتيب لم يأت عبثيا، بل جاء مبررا من قبل الكاتب، وهو نابع من التوجه التحليلي المطروح في مضمون المادة نفسها.

تعد هذه الدراسة حقلا من حقول المعرفة على المستوى النظري للمهتمين بالثقافة والتراث والهوية الفلسطينية خاصة، والعربية عامة، وكل من أسهم في رسم مستقبل الأمة.

8. محمد (1987)، أثر الموروث الشعبي في السلوك والأنماط الفكرية، مجلة الآداب، 1987.

تعنى الدراسة بالذاكرة الشعبية التي تحمل في جنباتها كنوزا زاخرة، وركائز أساسية للثقافة في المجتمعات كلها، والثقافة هي إحدى الركائز التي يقوم عليها البناء الاجتماعي.

ركزت على بذل العناية بالموروث الشعبي، وأكدت أن جهد إعادة الموروث هو جهد مشترك وعام بين أقطار الأمة العربية كلها، وإعادة النظر في قطاع التعليم الذي يفصل المتعلم عن عاداته وتقاليده وقيمه، ويحثه على التمسك بكل غريب.

وتطرقت إلى مدى تمسك المجتمعات بالقيم والاختلاف النسبي بين الحضر والريف من مجتمع لآخر، حسب سرعة التغير واتجاهه في ذلك المجتمع. وانتهت الدراسة بوضع الحلول الممكنة لحماية الموروث الشعبي.

9. النجار (1987)، مصادر الموروث الشعبي في التراث العربي، مجلة الآداب.

تناولت الدراسة الفرق بين الموروث والمأثور، وأقسام التراث الشعبي، ومصادره، ومراحل جمعه ودراسته، وأنواعه؛ التراث اللغوي، والتراث الشعري، والموسوعي، والقصصي، والأمثال، والتراث الديني، والتراث الصوفي، والتراث التاريخي، والجغرافي، والسياسي والاقتصادي والأخلاقي، والتراث الطبي، والعلمي، والفروسي، والموسيقي. وما يهمنا في هذه الدراسة التراث اللغوي والأخلاقي.

واسئناسا بما سبق فإن الدراسات السابقة تندرج تحت قسمين؛ فمنها ما عنيت بالموروث والأدب الشعبي، ومنها ما اهتمت بالقيم والسلوك الإنساني، أما ما يميز هذه الدراسة عنايتها بالموضوعين معا، أي دمجت بين القيم الإنسانية العليا والموروث الشعبي، من خلال كشف تجليات تلك القيم في المثل الشعبي الفلسطيني، مع التركيز على القيم الثلاث الحق والخير والجمال.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتها قلة المصادر والمراجع التي تحدث عن تلك القيم، سوى تلك المتناثرة التي وجدتها هنا وهناك، ولا يوجد دراسة شاملة –حسب ما أعلم– شملت تلك القيم، أما توظيفها في المثل الشعبي فلا دراسة شاملة أو غير شاملة تناولت ذلك.

وأيضا صعوبة حصر الأمثال الشعبية الفلسطينية، حيث أنها موروث مشترك بين الشعوب العربية، فليست كل الأمثال الواردة في هذه الدراسة خاصة في الشعب الفلسطيني لوحده، وإنما منتشرة في الثقافة العربية ككل.

وجاءت الرسالة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تتبعت في الفصل الأول القيم الإنسانية المشتركة قراءة في أصولها الأولى، ودور الفكر القديم في تشكيلها، وتوزع الفصل على مبحثين، تناول المبحث الأول القيم الإنسانية في التوراة والإنجيل، وفي المبحث الثاني القيم الإنسانية العربية الإسلامية.

أما الفصل الثاني فناقش أولى القيم وهي قيم الحق في المثل الشعبي الفلسطيني، وجاء في مبحثين؛ دار المبحث الأول حول مقاييس الحق وتجلياتها في المثل الشعبي، ودار المبحث الثاني حول وجوه الحق، ومظاهره في المثل الشعبي الفلسطيني.

وناقش الفصل الثالث قيم الخير في المثل الشعبي الفلسطيني، وجاء في مبحثين، تحدث المبحث الأول عن معايير الخير وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني، أما المبحث الثاني فدار حول أنواع الخير، وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني.

ودار الفصل الرابع حول قيم الجمال في المثل الشعبي الفلسطيني، ورصد المبحث الأول طبيعة الجمال وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني، وفي المبحث الثاني تقويم الجمال وتجلياته في المثل الشعبي الفلسطيني. أما الخاتمة فرصدت فيها أهم النتائج والتوصيات.

القيم الإنسانية العليا ونماذجها البدئية في المثل الشعبي الفلسطيني

تمهيد

تعود الأصول المعرفية للثقافة الإنسانية إلى ذلك المشترك الأول الذي أنتجه العقل البشري منذ فجر التاريخ، حينما بدأت المجتمعات الأولى تبحث عن ذاتها، وتعي العالم من حولها، وترسم تصوراتها عن الخير والشر، وعن العدل والجمال، وعن الهدف الأسمى من الوجود الإنساني.

وقد تشكّلت عبر هذه التجربة الجماعية الطويلة منظومة من القيم العليا، التي لم تكن حكرًا على أمة أو حضارة بعينها، بل كانت ثمرة ما يمكن وصفه بالفكر الإنساني الكوني المشترك؛ ذلك الفكر الذي عبّر عن تطلعات الإنسان إلى الكرامة والحرية والحق، والذي تجلى بطرق متعددة في الأساطير، والشرائع، والأمثال، وكل أشكال التعبير الثقافي.

وفي هذا السياق، لا يمكن النظر إلى التراث الشعبي لأي أمة على أنه مجرد انعكاس محلي ضيق، بل هو امتداد لهذا المخزون الرمزي المشترك الذي تتداخل فيه الذاكرة الجمعية مع المنظومات القيمية الكبرى.

ويأتي المثل الشعبي الفلسطيني، بصفته أحد أبرز أشكال الأدب الشعبي، يحمل نسقا من النماذج البدئية التي تنطوي على تصورات أصيلة للقيم الإنسانية العليا.

ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة، التي تسعى إلى الكشف عن تجليات القيم الإنسانية العليا في المثل الشعبي الفلسطيني، ليس بوصفه مادة لغوية أو تراثية فحسب، بل باعتباره مرآة صادقة لروح الإنسان الفلسطيني، وامتدادًا حيًّا لذاك الوعي الكوني بالقيم المشتركة التي تمهد للحياة الإنسانية المنشودة.

كل شيء على هذه الأرض ذو أصول وجذور، ومن لا يعتز بماضيه لا حاضر يرويه ولا مستقبل يأويه، وهناك جذور تؤصل الحاضر وتؤسس للمستقبل، فتمجيد الماضي والهوية من أسس البقاء والاستمرار، أما الحارس الحقيقي والأب الشرعي والمنهل الصافي للماضي والهوية فهو الموروث الشعبي.

ومصطلح الموروث الشعبي ينتمي لنسق المصطلحات المرتبطة بتاريخ الأمم والشعوب وحياتهم الماضية، وملتصق بها كما التصاق المرء بطفولته؛ لأنه ما خلفه الأجداد للأبناء والأحفاد، وهو المرآة الصادقة التي تعكس الصورة الواقعية والحقيقية للشعوب. فما بين أصالة الماضي وعراقة الحاضر تراث مجيد، ومعنى هذا أن التراث هو حلقة الوصل ما بين الماضي والحاضر، وهو النافذة إلى المستقبل.

"وهو جمّاع للتاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور وحتى الآن، لذلك فهو أبعد ما يكون عن التجانس لأنه وثيق الارتباط بمتغيرات لا حصر لها من ظواهر الحياة، التي عرفتها مجتمعات ما قبل التاريخ وما بعدها" (عزاوي، 1975، صفحة 34).

والتراث هو كل إرث موروث عن الأسلاف لخصوا لنا فيه نتاج تجاربهم وخلاصة خبراتهم وأهم معارفهم، وهو حصيلة تراكم ثقافي كمي وكيفي لخبرات طويلة ومعارف عميقة تعود إلى بدء ارتباط الإنسان بالأرض واستقراره فيها وهذه الحصيلة نتاج تفاعل الإنسان مع المجتمع بينه وبين البيئة وبينه وبين المجتمعات الأخرى والثقافات التي تلامس ثقافته، وتمت صياغته وفق حاجاتهم وحسب ظروفهم عبر تطور زمني معين، إذن هو منظومة فكرية تضم مفاهيمه الاجتماعية وأنماطه السلوكية (القمني، 2020، الصفحات 17-18).

وهذا التراث شامل ومتصل بنواحي الحياة كافة التي عاشتها الأمة بكل حالاتها يرتبط بها برباط وثيق، قد ينحرف به المسار زيادة أو نقصانا أو ربما انقطاعا، ولكنه ليس انقطاعا تاما، فتراث أي أمه لا ينسلخ عنها ولا تنسلخ عنه، تحمله ويحملها تسافر به ويسافر بها (قنبر، 1983، صفحة 8).

وهذه العناصر التي لا زالت حية في واقعنا الراهن، وفي عناصر الثقافية المكتوبة أو الشفاهية، وهو كامن فينا وفي فكرنا وسلكونا لا يقتصر على حقبة معينة ولا يقف عند اتجاه معين (الغيظاني، 1997، صفحة 6).

والتراث في الخطاب العربي الحديث والمعاصر هو كل ما هو مشترك بين العرب؛ أي هو التركة الفكرية والموروثات الروحية التي تجمع بينهم وتجعل منهم خلفا للسلف، فهو عنوان وجود الماضي في الحاضر، وهو ليس بقايا ثقافة الماضي بل تمام هذه الثقافة وكليتها، إنه العقيدة والشريعة، واللغة والأدب، والعقل والذهنية، والحنين والتطلعات، وهو ليس حاصل الممكنات التي تحققت بل حاصل الممكنات غير المتحققة والتي يمكن أن تتحقق (الجابري، 1991، صفحة 24).

والتراث الشعبي جزء من الموروث الثقافي للأمة، وهو جزء من الموروث الحضاري لها، وهو البقايا الأسطورية والسلوكية والقولية والفولكلورية، كما يضم الممارسات الشعبية السلوكية والطقوس، التي بقيت تنتقل من بيئة إلى أخرى عبر التاريخ، ويضم أيضا الأدب الشعبي، والعطاء الجمعي، الذي هو من إبداع الضمائر الشعبية عبر مسيرتها الحضارية، وعليه فإن هذا المصطلح جامع شامل لكل ما سبق (خورشيد، 1992، صفحة 12).

هناك شقّان للتراث الشعبي: مادي ومعنوي، أما العلاقة بينهما فوثيقة، فالقسم المادي هو نتاج مجهود عقلي حيث أنتج الإنسان القديم ما أنتجه وفق احتياجاته ومتطلباته، وبما يتناسب مع ما هو متوافر في بيئته، أما الأدب الشعبي المنتمي للقسم الثاني، فهو حافل بذكر القسم الأول ويعتز به، وكلاهما يحتاج إلى تفكير ومجهود عقلي (الجنيدل، 1986، صفحة 28).

وذانك الشقان تكاتفا معا، وأبرزا الهوية العربية الفلسطينية، وعبرا عنها خير تعبير، ومما لا شك فيه أن قوة الهوية وضعفها تتفاوت بتفاوت عوامل تشكيلها، فكلما كانت غنية برموزها الثقافية وموروثاتها الحضارية كانت هويتها أقوى وجودا، وأكثر تماسكا، وأعمق حضورا في نفوس أبنائها، وتلك الرموز تتشكل من مصدرين المصدر الرسمي أي الثقافة العليا، والمصدر الشعبي من عادات وتقاليد وطقوس وموروثات شعبية، والذي يمثل عامة الشعب ولا غلو إذا قلنا إن الرموز الثقافية المستقاة من المصدر الشعبي أقوى حضورا، وأشد وجودا من شقيقتها الرموز الرسمية في تشكيل الهوية، كيف لا وأن الأولى هي وليدة الشعب نفسه، وليدة

الفطرة والعفوية، نابعة من دواخله، ومستقاة من أعماقه، ومستوحاة من احتياجاته، ومعبرة عن أحزانه وآلامه، متجاوزة الزمان والمكان، ومتحدّثة باسم الضمير الجماعي والوعي الجمعي، في حين أن الرموز الرسمية تتعالى على العامة وتهمل الحاجات والأولويات وتنحني للمنطق والتنظيم والتخطيط، وتفتقر للعفوية، موجهة صلب اهتمامها صوب نخبة معينة أو فئة خاصة، ضاربة بعرض الحائط مصلحة عامة الشعب (كناعنة، 2011، الصفحات 46-47).

استنادا إلى ما سبق، فإننا نؤكد على أهمية الموروث في استمرار الأمم والشعوب، وثبات هويتها، وضمان بقائها، وعضد قوتها، ومن واجب كل أمة أن تعتز بذلك الموروث وتعيد بعثه من جديد.

تجمعت الأنظار وتوجهت نحو بؤرة إحياء الموروث للحفاظ على الهوية الفلسطينية، وترميم الشخصية الوطنية واستصلاح ما تم هدمه وطمسه وتهويده، عقب النكبة وتشتت الشعب الفلسطيني صاحب الموروث وحامله في شتى بقاع الأرض، فما أحوج الشعب الفلسطيني الذي عاش في بيئات مختلفة وثقافات جديدة نتيجة التهجير القسري، والتشتت القهري، إلى ذلك التراث في إثبات حقه الشرعي في الأرض، في الوقت الذي يزعم فيه الآخر أنها أرض التوراة، ويريد تحقيق أسطورة أرض الميعاد.

تكمن أهمية الأدب الشعبي في قدمه، فهو قدم الإنسان نفسه، وفي مادته فمادته الكلمة، والكلمة أشد من الصخر، كما تكمن أهميته في التعبير عن اللاشعور الجمعي للشعب، كما أنه مرتبط بالفطرة ومساير لها، وهو أيضا مؤثر ومتأثر بالأجيال. وهو ضرورة اجتماعية وتلبية للحاجات الروحية، والخلجات النفسية وعن طريقه تترسخ المعتقدات، ومنه نتعلم المثل، وعليه تقوم القيم العليا، وهو أداة ربط الماضي بالحاضر، وهو مصنع الخبرات، ومنجم المعارف، ومتحف الفنون، وهو ضمير الشعب، وهو الهوية التي نرى فيها أنفسنا ويرانا غيرنا بها (الديك، 2023، الصفحات 29-30).

ويرتبط ذلك الموروث بالقيم الإنسانية الكونية المشتركة، ويعد من أهم مصادرها، وخير مجسد، ونعم حافظ وحام لها، إذ ما انفك الإنسان منذ نشأته الأولى حتى اليوم يكابد حتى يصل إلى مرحلة التكامل، وإحلال

السلام مع ذاته الداخلية، ومع عوالمه الخارجية، وما يزال يشعر بأهميته في هذا الكون الفسيح، ولا يملك إلا محاولات للوصول إلى طريق آمنة، يلتمسها في عالم لا يهتم بأمره، غير أن عقبات كثيرة تحف تلك الطرق الضبابية، تلك الطرق التي تتأرجح بين الرغبة، وما يمكن تطبيقه، والأمل وبما يمكن أن ينجز منه، ولعل القيم هي الشمس التي تشرق؛ لتبدد هذه الرؤية الضبابية، والنور الذي يخترق الظلام، والشعاع الذي يهتدي به ذلك الإنسان أمام هذا العالم المضطرب بالحروب، والثورات، والأحداث التي تؤثر في فكر ذاك الإنسان وسلوكه (قنصوه، 1986، صفحة 3).

تعددت دلالات مصطلح القيمة إذ هو مفهوم واسع متعدد النطاق، فهو حاضر في علم الاقتصاد، وفي السيكولوجيا، وفي الأنطولوجيا، وأيضا في السيوسيولوجيا، وما يهمنا هنا مفهومها كعلم مستقل وهو الإكسيولوجيا أي علم القيم، وعلاقة ذلك العلم أو ذلك المصطلح بالفلسفة وعلم النفس.

واستنادا إلى ما سبق، سنقف عند تعريف الفيلسوف الأمريكي رالف بارت بيري[1] الذي ربط مفهوم القيمة بمفهوم الاهتمام، والمنفعة، والجدوى، والفائدة (بيري، 2011، الصفحات 12–24)، أي كل شيء يمكن أن يهم الإنسان ويكون ذا فائدة وله جدوى منه، فطالما وقف الإنسان عند مصادر نفعه، ومثار اهتمامه، ومحط عنايته، وما يعود عليه بالنفع. وكل هذا يرتبط بفطرة الإنسان والبحث عن كل ما يثير اهتمام تلك الفطرة ويغذّيها ويشبعها.

أما الفلسفة فتدرس القيم المطلقة، وهي الحق والخير والجمال، وكل قيمة مما سبق يدرسها علم خاص من علوم الفلسفة، فالحق يدرسه علم المنطق المتصل بالعقل عند أصحاب المذهب العقلي (الطويل، 1958، صفحة 372).

[1] فيلسوف أمريكي بارز وُلد عام ، 1876وتوفي عام 1957 ويُعد من ممثلي الفلسفة البراغماتية في الولايات المتحدة درّس الفلسفة في جامعة هارفارد، واهتم بشكل خاص بقضايا القيم والأخلاق والديمقراطية، وكان تلميذًا ومفسرًا مهمًا لفكر الفيلسوف ويليام جيمس.

ويحاول أن يصل إلى الشروط التي يجب مراعاتها للوصول إلى التفكير السليم، كما حاول أن يفهم طبيعة هذا الحق ومقاييسه التي تميز بينه وبين الباطل.

أما الخير فالعلم الخاص به هو علم الأخلاق، ويحاول هذا العلم أن يصل إلى القواعد التي يجب مراعاتها للوصول إلى أعلى درجات الخير، ومقاييسه التي تميز بينه وبين الشر، وهذه المقاييس احتلت مكانة كبيرة في التفكير البشري منذ القدم، وحددت تلك المقاييس من خلال اتجاهين مختلفين، الأول يتمثل في اتجاه الحدسيين، والآخر في اتجاه الغائبين، فالأول يرى قياس الخيرية، وما يميز الخير عن الشر ثابت لا يتغير بتغير الظروف، ولا يحده مكان أو زمان، على عكس الاتجاه الثاني الذي يرى عكس ذلك، ويرى أن الخير والشر أفكار تم الاصطلاح عليها وفقا للظروف والتجارب، واختلفت باختلاف الناس، وخضعت للتطور المتحكم في الظواهر الاجتماعية (الطويل، 1958، الصفحات 356-357).

والخيرية تحمل معاني الصلاح والطيبة والمنفعة، فخيرية الفعل تعني صلاحه، وخيرية النفس تعني طيبتها، وخيرية العلم تعني منفعته، ومما لا شك فيه أن مفهومه العام يعادل معنى القيمة؛ لأنه يهتم بأغراض الأفعال والسلوكيات ومقاصدها المثلى، ويكشف عما يجب السعي إليه؛ أي إلى كل ما هو خير أو له قيمة.

أما الجمال فأثار الخلاف بين الباحثين في محاور ثلاث هي: طبيعة الجمال، ومقاييسه التي تميز بين الجمال والقبح، وأخيرا علاقة الخيرية بالجمال، فطبيعة الجمال والخلاف حولها ولدت مجموعة من النظريات، وهنا لا بد من الإشارة إلى الخلاف الذي حصل بين من يعدون الجمال صفات عينية مستقلة عن العقل، وعلى رأسهم أفلاطون، ويرون أن للجمال وجودا موضوعيا يتمتع به الناس جميعا في كل زمان ومكان، وبين من يردونه إلى القوى التي تدركه أي إلى العقل، وليس صفة عينية مستقلة عن الإدراك، من أهمهم أرسطو.

أما عن علاقته بالخيرية فالجمال مثل الخير، كلاهما يعبر عن مشاعر وانفعالات لا عن وقائع، وعليه لا يوصفان بالخطأ والصواب، ولا يخضعان لمنهج تحقيق (الطويل، 1958، الصفحات 388-391).

ومصطلح القيم غير مرتبط بالإنسان وحده أو بالفلسفة نفسها، وإنما يرتبط أيضا بالأديان، فكل الأديان والشرائع السماوية تحث دوما على القيم الخالدة، والمثل العليا، والفضائل الأخلاقية العلية، والخصل الإنسانية السامية. فالدين بمرحلتيه، الأولى وهي عبادة المظاهر الطبيعية المحسوسة، والثانية تتجلى في محاولة الاتصال بالحقيقة القصوى الموجودة التي تكمن وراء تلك المظاهر، ورافق الإنسان منذ نشأته الأولى، وفي كل مكان وزمان (ستيس، 2013، الصفحات 9-10).

ومن أهم مقومات الدين هو الشعور بالانسجام الباطن العميق، أي شعور الرضا بدواخل الإنسان وعالمه الخارجي، وهذا الشعور يدل على الشعور بمشاركة قوى عظمى تفوق قدرات الإنسان، والشعور بضرورة مشاركة تلك القوى في تحقيق ما تصبو إليه النفس من المحبة والسلام وهذا لا يتحقق إلا من خلال الشعور بقيمة القدرة الإلهية العليا، وعن طريق الخبرة الدينية (Moore, 1938).

كما ينشد الدين اللامتناهي أي المستحيل، وكذلك النور الذي لا يمكن العثور عليه في الأمكنة والأزمنة، وتصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن قوله، فهو النور الذي لا وجود له أصلا في عوالم المكان ولا في حدود الزمان، ومع هذا يبقى النور الذي يضيء العالم أجمع، وهو الرغبة في تجاوز الوجود والقيود نحو العدم وهذا العدم يكمن فيه النور الأعظم، وهو الرغبة للوجود إلى اللاوجود الذي هو كائن (ستيس، 2013، الصفحات 40-41).

الفصل الأول

القيم الإنسانية المشتركة في أصولها الأولى

مدخل: دور الأساطير في تشكيل الوعي بالقيم العليا

ظلت حاجة الإنسان الحديث غير المكتفي ذاتيا إلى الإنسان البدائي المكتفي ذاتيا والمرتبط بالطبيعة مباشرة، فما يشغل بال الإنسان اهتماماته التي تجعله سعيدا، ولا يتحقق ذلك إلا بالقيم التي هي محط اهتمامه ومصدر سعادته، إذن الاهتمام المرتبط بالفطرة هو جوهر موضوع القيمة وأساسها، ويتناسب طرديا معها؛ فكلما زاد اهتمام الإنسان بشيء ما ازدادت قيمته، فقيمة الشيء تعلو وتنخفض حسب بواعث اهتمام النفس وتحقيق مصالحها وإشباع رغباتها، فتصبح القيم العليا الغاية المرغوبة الصالحة لكل الأمكنة والأزمنة، وحصرها بارتن بيري في ثلاث: قيمة الحق وما يندرج تحتها من علوم، والخير وما يحويه من سلوك، والجمال وما يحمله من فنون، وعليه يُدمج إدراك الإنسان ووجدانه ورغباته، ويتألف من وعيه وشعوره الذي هو جوهره (بيري، 1961، صفحة 14).

وقبل الوقوف على ماهية القيمة علينا أن نتذكر الأصول والنماذج البدئية المتوارثة التي تأسست عليها الثقافة الإنسانية، ومن هنا يجب علينا أن نعود إلى الإنسان البدائي، وفكره القديم، واهتماماته الباقية في اللاوعي، حتى باتت قيما كونية إنسانية، وأولى تلك الأصول هي الأسطورة (الديك، 2023، صفحة 35).

تعد الأسطورة الوعاء الأول للفكر البشري والحاضنة الأولى للفنون كلها، وشكلا من أشكال الوعي الجمعي عند الشعوب وتراثها الشفاهي.

والأساطير هي أولى عمليات النشاط الذهني في العقل البشري، وهي سمة تفكيره في مراحله الأولى، وهي الاكتشاف العظيم الذي اعتمد على الخيال وحلق به. وهي منظومة فكرية ضمن بنية اجتماعية معينة ولفترة زمنية محددة (الطلال، (د.ت)، الصفحات 63-65).

ويمكن اعتبار الأسطورة فنا أدبيا؛ لما ترويه من نتاج متراكم للفكر الإنساني في مجال الأدب، وتاريخا لما تحويه من مناحي الخيال المجرد، وترجمة للملاحظات الواقعية، ورصدا للحوادث التي جرت بالفعل (السواح، 1988، الصفحات 13-14).

وتعد الأسطورة ضربا من الفكر التأملي عند الإنسان البدائي القائم على التجربة (فرانكفورت، 1980، صفحة 13)، وهي ناتجة عن اللاشعور الجمعي، ولكنها تنبثق بشكل فردي، وأن العالم يكاد يتكلم عبر رمز الأسطورة، وكلما كان هذا الرمز عميقا كان أقرب للعالمية وشمول الإنسانية (السواح، 1988، صفحة 17).

تُعد الأساطير منظومات رمزية ذات وظيفة أخلاقية تسهم في ترسيخ القيم العليا، كالكرم، والشجاعة، والصدق، في الوعي الجمعي.

ومن وظائف الأسطورة أنها تقوم بتجسيد القيم في صور قريبة من الوجدان، مما يجعلها أداة فعالة في نقل القيم بين الأجيال، وتعزيز الانتماء الثقافي والهوية الأخلاقية للمجتمع.

كما تسهم الأساطير في ترسيخ النموذج المثالي للإنسان من خلال أبطالها، الذين يمثلون ذروة الفضيلة والتضحية.

فعلى سبيل المثال، تعكس الأساطير السومرية، والمصرية، والإغريقية، نزعة الإنسان للبحث عن العدالة، والخلود، كأسطورة جلجامش، التي تحاكي رحلة الإنسان في فهم الحياة والموت، والسعي وراء الحكمة والخلود، وهي قيم إنسانية كبرى (الجابري، 2009، صفحة 167).

ولعل أول ما يميز القيمة هو انصهار الفرد في الجماعة، وانغماس وعي الصحو مع وعي الغيب في بوتقة واحدة، جوهرها القوة المنتقلة الصادرة من عالم الآلهة، لتتقدم كل حركة في عالم الإنسان (السواح، 2002، الصفحات 387-390).

المبحث الأول: القيم الإنسانية في التوراة والإنجيل

أولا: القيم الإنسانية في اليهودية

قبيل الحديث عن القيم الإنسانية في اليهودية لا بد من الرجوع إلى المصادر الفكرية التي يستقي منها اليهود عقيدتهم وأخلاقهم وقيمهم الإنسانية، ولعل من أهم تلك المصادر التوراة؛ أي العهد القديم والتلمود، يمثلان النسيج المتكامل للفكر الأخلاقي اليهودي.

القيم الإنسانية في التوراة

تتربع التوراة على عرش المصادر الدينية وهي اللبنة الأساسية التي تبنى عليها شريعة اليهود، وعقيدتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم، وقيمهم الإنسانية، أو هي الجذور التي تنبت كل ما سبق، ولعل أهم تلك الأسفار التي اهتمت بالقيم الإنسانية اليهودية، التي تجلت في الوصايا المتمثلة في سفر التثنية، والخروج، من مواعظ وقيم تناثرت في العهد القديم، (دروزة، (د.ت)، صفحة 14؛ عرابي، 2006، صفحة 453).

من الملاحظ أن هناك تشابها كبيرا بين الوصايا المتعلقة بالقيم الإنسانية اليهودية الواردة في سفر الخروج، والوصايا الواردة في سفر التثنية مع اختلافات بسيطة، وأهم القيم المشتركة التي جاءت في السفرين هي، عدم الشرك بالله، وإكرام الأبوين، وتحريم الزنا والقتل والنهي عن السرقة وشهادة الزور، والابتعاد عن الحسد (كريسون، 1979، صفحة 135؛ سفر الخروج ، الصفحات 1-18:20؛ سفر التثنية ، الصفحات 22-6:5).

تظل تلك الوصايا دستورا لنظام أخلاقي يحدد القيم العليا التي يجب أن يتحلى بها الشعب اليهودي، وأن تلك الوصايا ما هي إلا جزء من مجموع الوصايا الأخلاقية، التي تجلت في العهد القديم تحمل في طياتها قيما أخرى، وردت في سفر اللاويين كالحث على الرحمة بكبار السن والضعفاء، والعطف على اليتامى والأرامل، وضرورة قيام العدل والمساواة، والتحذير من البغضاء، وقمع الرغبة في الانتقام.

أما ما يخص العدل الاجتماعي هو في ذاته يدل على متابعة الطريق الرباني الذي سكله إبراهيم الحنيف، وأمر أهل بيته بالحفاظ عليه (فتاح، 1997، صفحة 191) "لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده: أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا" (سفر التكوين، صفحة 19/18).

أضف إلى ذلك ما ورد في سفر الأمثال، كالنهي عن منع الخير لأهله، خاصة مع وجود القدرة على تقديمه، والنهي عن التعالي والتكبر، ومقت الكذب، وسفك الدماء البريئة، وتدعو إلى تحرير القلوب من الشرور، وشهادة الزور وزراعة الفتن، وإثارة المشاحنات لا سيما بين الأخوة، والاهتمام بأثر القدوة، والدعوة إلى مجالسة الحكماء (موسى، (د.ت)، صفحة 11).

القيم الإنسانية في التلمود

ويأتي التلمود مصدرا أخلاقيا ثانيا في التشريع اليهودي، وفي تحديد علاقتهم مع اليهود أنفسهم، ومع غيرهم، ويعد الحافظ للحياة اليهودية الدينية والأخلاقية الحامي لها، وهو قبس النار الذي تلتف حوله الجاليات اليهودية في مشرق الأرض ومغربها، وكأنه كتاب التاريخ من الأجداد إلى الأحفاد (مهران، (د.ت)، الصفحات 348-347/3).

أما أهم القيم الإنسانية الواردة في التلمود، فهي: حب الآخر؛ أي أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك، والبعد عن الغيرة والحسد، والعودة إلى الاستقامة، والنهي عن التفاخر، والحث على الصدق، والسلام، والعدل والتواضع، (موسى، (د.ت)، صفحة 12؛ نزيقين، 2007، صفحة 304/4، 318، 327).

ويعد الإحسان في التلمود من الركائز الأساسية التي يستند عليها العالم، فيقولون: "بقاء العالم يقوم على فضائل أشياء ثلاثة: الشريعة، توحيد الله وعبادته، والإحسان الفعال" (أيبش، 2006، صفحة 263)، وأسفار الشريعة الخمسة (التوراة) تبدأ بالإحسان وتختم به "وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما" (سفر التكوين، صفحة 3:21).

وحسن الضيافة من أنواع الخير، وقيل عن أبرهام "وغرس حديقة"؛ لأنه كان فاتحا بيته لعابري السبيل، وهناك مثل مكتوب في أمثال الأجداد "فليكن بيتك مفتوحا كملجأ، وليلاقي الفقير مأواه بين جدرانه بكرم وطيب" (أبيش، 2006، صفحة 264).

وعمل اليهود على تطهير أموالهم بالصدقات، ويعترفون أن هناك واجبات اجتماعية مقابل ثرائهم، ويخشون لعنة الفقراء، وعليه فلم تسجل أي حادثة تتعلق بموت يهودي جوعا إذا كان يعيش في مجتمع يهودي، وكان لزاما على كل فرد يهودي فقيرا كان أو غنيا، أن يقدم شيئا من ماله لصندوق العشيرة الخاص بالشيوخ والمرضى والفقراء واليتامى تعليمهم وزواجهم، وكانت واجبات الضيافة مجانية.

وازداد عدد الجمعيات الخيرية اليهودية في العصور الوسطى، وكان هناك إلى جانب المستشفيات وملاجئ الأيتام وبيوت المسنين منظمات تقدم تعويضا للمساجين، ومساعدات للأرامل المعدمات، وأجورا للأطباء، ودفن الموتى بالمجان (ديورانت، (د.ت)، الصفحات 66-67).

هذا هو التلمود من وجهة نظر غربية، وبعيدا عن الاتجاه العنصري في اتجاهه الثاني الذي يقصر تلك القيم آنفة الذكر على علاقة اليهود فيما بينهم، وليس علاقتهم مع غيرهم من الشعوب، متسللين تحت شعار شعب الله المختار، مما جعلهم شعبا متعاليا. وليس ذلك فحسب، فقد وصلت مدى العنصرية لديهم إلى عد أي مخلوق يخالف اعتقاد اليهودي أنه من عداد الحيوانات وليس من عداد البشر (نزيقين، 2007، صفحة 312).

ولكن إذا نظرنا إليه بعين عربية نجد تناقضا كبيرا مع جزء لا بأس به من جملة الفضائل الاخلاقية، والقيم الإنسانية الآنفة الذكر، من وجهة نظر غير عربية. فلا يمكن لشيء أن يعري الشعب اليهودي ويكشف فضائحه ويزيل اللثام عن حضارته الزائفة كما فعل التلمود، كونه من أهم مصادر التعاليم اليهودية التي فضحت مقاومتهم للدين المسيحي، وهو من أندر الكتب التي وصلت إلينا ولا يوجد منه إلا نسخ قليلة وهي تلمود بابل، وتلمود أورشليم.

ويحسن التنبيه إلى أن تلمود أورشليم يختلف عن تلمود بابل؛ إذ إن مادة تلمود أورشليم هي ثلث مادة تلمود بابل ولغته عبرية، وأن تلمود بابل ولغته آرامية شرقية، هو المعتمد عند اليهود.

التلمود ومضمونه ليس من الكتب المنزلة، وهذا ينسف اعتقاد اليهود السائد بأنه كتاب سماوي منزل، وما يحتويه مناف لجميع الديانات، وهو مجرد أقوال لحاخامات ذات السلطة الإلهية لديهم لا علاقة لها بأي رسالة سماوية، وهو مجرد كتاب اتخذت العصابات الصهيونية من نصوصه وتعاليمه طريقا لها، وتكمن المأساة بأن تلك العصابات باتت عالمية تفرض سيطرتها على العالم أجمع وليس على فلسطين فقط، وتعد الجانب العملي المنفذ صياغة للنصوص الوحشية والمخالفة للإنسانية الواردة في التلمود، فنظرة الصهيونية دمرت كل المعتقدات الدينية إلى حد يفوق تصور العقل البشري، وأن مجرد نظرة أولية إلى التلمود تزيل الستار عن الخطر المحدق بالإنسانية، وليس من قليل أن اليهود عبر تاريخهم كانوا يقومون بحرق التلمود وسحبه من المكتبات؛ لأنهم يعلمون خير علم ما ينطوي عليه من شرور وخطورة على الإنسانية، وحرقهم له ليس حبا في الإنسانية، ولكن ليقينهم أنه يفضح أساليبهم، ويعري إنسانيتهم، ويكشف نفسياتهم المريضة تجاه الأمم الأخرى، والتي تظهر واضحة جلية حين يمتلكون القوة المسيطرة على تنفيذ معتقداتهم.

ويكفي النظر إلى كبد الحقيقة التي تظهرهم على حقيقتهم كما ربتها فيهم النصوص التلمودية المقدسة، من جرائم وحشية ضد العرب في فلسطين، ومخططات الصهيونية في العالم أجمع تظهر مدى تعلقهم بوصايا التلمود (صبري، 2011، الصفحات 5-12).

ويرى ابن ميمون[1] أن الأخلاق والقيم تمثل عاملا انضباطيا في المجتمع؛ وأنها وسيلة للوصول إلى الكمال الإنساني، حيث يتم من خلالها السيطرة على الشهوات، وينادي بإطلاق السلطة للعقل، والعقل مرتبط بالعلم،

[1]هو أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله الأندلسي الإسرائيلي، ويطلق عليه أيضا "ميمونيدس، وهم من أهم فلاسفة اليهود في الثقافة الإسلامية، ويعد من أعظم شراح الشريعة اليهودية، واجتهد في أن يقدم لليهودية ما قدمه ابن رشد للإسلام في علم الفلسفة، ويعد لاهوته قانونا أساسيا في الفكر الديني اليهودي، ومن أهم مؤلفاته: دلالة الحائرين هدفه توضيح كيفية التوفيق بين الفلسفة والدين، وتطرق لقضايا الإلهيات والميتافيزيقا، ومنشاه توراة، وهي موسوعة فقهية شاملة تعد من أهم كتب الشريعة اليهودية.

فالعقل الذي يقوده العلم هو المدرك للأخلاق والقيم، وهو الذي يفرق بين الحق والباطل، وحذر من صفة الكمال وعده مرضا أخلاقيا (جمال الدين، 2015، صفحة 503).

ركز ابن ميمون على فكرة الاعتدال والتوازن المستمدة من الفلسفة الأرسطية، حيث دعا إلى الوسطية في موضوع الفضيلة، وأكد أن الأخلاق ليست مجرد طاعة لأوامر دينية، بل هي جزء من تهذيب النفس للوصول إلى الكمال العقلي والروحي، ورهن سعادة الإنسان بتنمية العقل؛ لأن المعرفة والعقل هما الوسيلة لفهم الله والوجود، ومن هنا يصبح استثمار العقل والسعي إلى العلم فضيلة أخلاقية بحد ذاتها.

ثانيا: القيم الإنسانية في الإنجيل

تعد المسيحية في بدايتها امتدادا لليهودية، لكنها أكثر تسامحا وبساطة منها، وهي ديانة سماوية مرجعها الأساس العهد الجديد أو الإنجيل.

اهتم العهد الجديد بالخطيئة، واحتقر الشهوات الغريزية، وأكد أن النجاة لا تتحقق بأفعال الإنسان على الأرض وإنما تتحقق باللطف الإلهي، ولعل ذلك يشير إلى نظرة تشاؤمية للعهد الجديد ولكن له أيضا في الوقت نفسه نظرة تفاؤلية لوجود البشارة المسيحية والحب والإحسان والمغفرة (الجمزاوي، 2021، صفحة 39).

أهم إنجازات المسيح هي وضع خطوط محددة لقواعد أخلاقية مثالية وقيم إنسانية عليا، إذ لم يكن همه التبشير بدولة جديدة، وتنبأ بقيام تلك القواعد والقيم بحلول موعد ملكوت الله، وأنشأ نظاما لا يضارع نظام الحياة العادية وإنما يضارع نظام الأديرة، لا يكون فيها زواج، ولا علاقات جنسية، ولا حياة اجتماعية، ولا فقر، ولا حروب، ولا حتى شريعة، وقد أثنى المسيح على كل فرد ترك بيته وأهله وولده، وعلى كل فرد خص نفسه من أجل ملكوت السماء، ولكن تلك التعاليم لم تكن عامة أي لم توضع لعامة الشعب، ولا لمجتمع دائم بل سار عليها أقلية دينية، فقد كانت المبادئ والقيم ضيقة في أهدافها إلا أنها واسعة في مجالاتها؛ حيث أنها تطبق القاعدة الذهبية في فكرة الأخوة.

على الأجانب والأعداء كما تطبقها على الأقارب والجيران، وكانت نظرتها بعيدة، حيث أنها تتطلع لزمن لا يعبد فيه الناس الله في الهياكل، ودور العبادة، وإنما لعبادته بالروح، حيث الصدق، والبعد عن النفاق، وبالأفعال الصادقة، لا بالأقوال الزائفة.

تلك المبادئ والقيم ليست بجديدة سوى الترتيب؛ فالفكرة الرئيسة التي تدور حولها مواعظ المسيح، عليه السلام، ما هي إلا الأفكار التي وجدت عند اليهود قبل ذلك الوقت بمئة عام، إذ حثت الشريعة اليهودية على الأخوة بين البشر، منذ زمن بعيد، والإحسان إلى الأعداء (ديورانت، (د.ت)، الصفحات 3/228–229).

وكان المسيح يعد نفسه يهوديا لزمن طويل، مؤمنا بأفكار الأنبياء، مكملا لأعمالهم، مواصلا لسنتهم، وعندما عرض عليه تعديل الشريعة اليهودية اختار شريعة[1] هليل (النزال، 2024، صفحة 227+99)[2]، ولم يفكر في نقضها بل بإكمالها إلا أنه بدل كل شيء بأخلاقه الصادقة وشعوره القوي، وأضاف للشريعة اليهودية العدالة والبساطة والرحمة والرأفة وأمر الناس أن يدخلوا الملكوت، وزادت الشريعة شدة في مواضيع الحياة الجنسية والطلاق، وخففها فيما يخص البساطة والعفو والتسامح، كما خفف من الشروط المتعلقة بموضوعات الطعام والطهارة، وعدل أوقات الصوم، وحول الدين من مراسم وطقوس، إلى صلاح واستقامة، وغير كثيرا من بعض المظاهر وندد بها، كالجهر بالصلوات، والتحلي بالصدقات، والمبالغة بالجنازات، وكأن الشريعة اليهودية ستنتهي ليحل محلها حياة الملكوت (ديورانت، (د.ت)، صفحة 4/231).

قدمت المسيحية إطارا واسعا للقيم الإنسانية متجذرا في نصوصها المقدسة، في ظل عالم يسوده تنوع القيم، إن هذا الإطار الذي وضعته المسيحية للقيم قدم علاجا للسلوكيات المعقدة وللعلاقات الإنسانية، من خلال تقديمه لمجموعة من المبادئ والقيم كالعالة والتسامح والمحبة، لا تخدم السلوك الشخصي فحسب وإنما السلوك الجماعي للمجتمع، أما مصادر تلك القيم في المسيحية فلها مصدران، الأول كما أشرنا سابقا الكتاب المقدس، وثانيها الوصايا العشر، الواردة في سفر الخروج التي تلخص القيم المتمثلة بالتوجيهات الأبدية من

[1] شريعة هليل تعني مجموعة القوانين والتفسيرات التي وضعها هليل الأكبر لتسهيل تطبيق الشريعة على الناس في حياتهم اليومية، مع التركيز على الرحمة وتخفيف التشدد.

[2] هليل الأكبر هو واحد من أعظم الحاخامات في التاريخ اليهودي، عاش في نهاية العصر الثاني للهيكل اليهودي في القدس، وهو فقيه يهودي بارز وزعيم دينيّ، واشتهر بالحكمة، والتسامح، والرحمة، وبتفسيره المعتدل للتوراة.

أجل حياة صالحة، كالدعوة إلى الحق، ونبذ الباطل، وبر الوالدين، والنهي عن السرقة، وأيضا الموعظة التي ألقاها اليسوع، والموجودة في إنجيل متى، والمتجذرة في عمق القيم الإنسانية، والشاملة للتطويبات المشهورة[1]، والتركيز على بعض القيم، كالدعوة إلى السلام، والتواضع، والرحمة، وعليه فقد شملت المبادئ الرئيسة للقيم، في العهدين القديم والجديد.

"طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات. طوبى للحزانى، لأنهم يتعزون. طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يشبعون. طوبى للرحماء، لأنهم يُرحمون. طوبى لأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون. طوبى للمضطهدين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السماوات. طوبى لكم إذا عيروكم واضطهدوكم، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السماوات، فإنهم هكذا اضطهدوا الأنبياء الذين قبلكم" (الكتاب المقدس، صفحة 1019؛ إنجيل متى، د.ت، الصفحات 5: 3-12).

وللكتاب المقدس دور في صياغة القيم الإنسانية؛ لأنه من أعلى الأنظمة الفكرية كلها، وهو كلمة الله الموحى بها، ويؤدي دورا كبيرا في صياغة القيم الإنسانية، إذ يعد مرشدا للقيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية، بالتعاليم المباشرة الخاصة بتلك الفضائل والقيم، والكتاب المقدس ليس وثيقة تاريخية ودينية فحسب، وإنما بمثابة دليل حي يشكل القناعات القيمية، والأخلاقية عند المسيحيين، وأن تأثيره المستمر على الوعي الجماعي يلقي الضوء على السبب والنتيجة، بين تعاليم الكتاب المقدس، والتعاليم الأخلاقية والقيم الإنسانية في المجتمع المسيحي، وعليه فإن الكتاب المقدس دليل غني لا يمكن الاستغناء عنه للقيم الإنسانية في المجتمع المسيحي.

أهم القيم الإنسانية المتربعة في الصفحات الأولى من الكتاب المقدس هي بث المحبة، والحفاظ عليها مع الأجانب وحتى مع الأعداء "سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا أقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لأعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم؛ لكي تكونوا أبناء أبيكم

[1]التطويبات هي مجموعة من التعاليم التي ألقاها السيد المسيح في بداية العظة على الجبل، وهي موجودة في إنجيل متى الإصحاح الخامس، الآيات (1-3) تبدأ كل تطويبة بكلمة "طوبى"، أي هنيئًا أو مباركًا، وهي تعبير عن السعادة الحقيقية التي يمنحها الله.

الذي في السماوات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين..." (إنجيل متى، د.ت، الآيات 43-1020/48)، كما دعت إلى حفظ النفس وتحريم سفك الدماء، ودعت إلى البعد عم الأنانية، والالتزام بالصدق، وبر الوالدين، وتحريم الزنا، والنهي عن شهادة الزور "أما سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل، ومن قتل مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم..." (إنجيل متى، د.ت، الآيات 21-1019/26).

وإذا انتقلنا إلى سفر اللاويين نجد عدد المحرمات الجنسية كلها وأسهب في ذلك وذكر كل أشكال العلاقات الجنسية المحرمة كالعلاقة الجنسية مع المحارم أو البهائم أو الذكر مع الذكور، وفي الوقت نفسه دعا إلى حفظ العلاقات السليمة بين الإنسان وأخيه الإنسان، من خلال بعض النواهي العامة كالنهي عن الغش والشرقة والظلم والنميمة ، وتجنب الشر والغضب، ونبذ الثأر والانتقام وحب المال (صليبا، 2014).

يشكل ما تقدم الوجه السلبي للقيم، أي النواهي والمحرمات التي إذا التزم الإنسان بها ابتعد عن الرذائل، أما الوجه الإيجابي للقيم وما يتضمنه من فضائل وموجبات، منها: الصدقة القائمة على الأخوة والمحبة "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات" (إنجيل متى، د.ت، صفحة 1027/1).

وهنا تؤكد المسيحية على تمجيد الأجر السماوي، ونبذ حب المال، والاقتصار على تمجيد إله السماء، "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين؛ لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (إنجيل متى، د.ت، صفحة 1028/24).

ومن القيم التي نادت بها المسيحية الصفح، إذ وضعت الشريعة حدا للثأر والانتقام وسياسة العين بالعين، ونهت عن بغض الإنسان لأخيه الإنسان ونادت بالتسامح القوي حد التفريط بالحقوق الذاتية والصبر على أذى الآخر، "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على حدك الأيمن فحول له الآخر أيضا" (إنجيل متى، د.ت، الصفحات 38-1027/39).

نادت باللطف المعقود بالإحسان، والوداعة والتواضع، والوداعة إحدى ثمار الروح وعلامة من علامات الحكمة، والصبر، والرحمة، والعدل المرتبط بالحق، والأمانة وقد لخص المسيح الأمانة بأنه من كان أمينا على القليل كان أمينا على الكثير، والشهادة وهي الإقرار بحقيقة حادث ما، ولا يجوز الحكم على أي مذنب إلا بشهادة شاهدين، وفي الدعاوي الكبرى يقوم الشهود ببدء تنفيذ الحكم؛ لأنهم أول من يتحملون المسؤولية، وهنا تكمن خطورة الشهادة في زيفها أو صدقها، وحرمت الوصايا العشرة شهادة الزور وحدد عقوبتها، وصنع الخير.

إن كل القيم السابقة قد نادى بها المسيح عليه السلام في الموعظة، التي تمثلت بالتطويبات على الجبل، وتمثلها قولا وفعلا، ومن سمات تلك القيم أنها قلبية وليست عقلية، أي تخاطب القلب أكثر من العقل، وتعتمد على الوحي أكثر من التفكير الحر؛ للتمييز بين ثنائية الخير والشر، (فلمَّا رأَى الجُموع، صَعِدَ الجَبَل وَجَلَسَ، فدَنا إِلَيه تَلاميذُه 2 فشَرَعَ يُعَلِّمُهم قال: 3 طوبى لِفُقراءِ الرُّوح فإِنَّ لَهم مَلكوتَ السَّمَوات. 4 طوبى لِلوُدَعاء فإِنَّهم يرِثونَ الأَرض. 5 طوبى لِلْمَحزُونين، فإِنَّهم يُعَزَّون. 6 طوبى لِلْجياعِ والعِطاشِ إلى البِرّ فإِنَّهم يُشبَعون. 7 طوبى لِلرُّحَماء، فإِنَّهم يُرْحَمون. 8 طوبى لأَطهارِ القُلوب فإِنَّهم يُشاهِدونَ الله. 9 طوبى لِلسَّاعينَ إلى السَّلام فإِنَّهم أَبناءَ اللهِ يُدعَون. 10 طوبى لِلمُضطَهَدينَ على البِرّ فإِنَّ لَهم مَلكوتَ السَّمَوات. 11 طوبى لكم، إِذا شَتَموكم واضْطَهدوكم وافْتَرَوْا علَيكم كُلَّ كَذِبٍ مِن أَجلي، 12 اِفرحوا وابْتَهِجوا: إِنَّ أَجرَكم في السَّمَواتِ عظيم، فهكذا اضْطَهدوا الأَنبِياءَ مِن قَبْلِكم) (متى 5: 1 –12).

ومن سماتها أنها فردية إذ تقوم على إنكار الذات عن طريق كبح جماح الغرائز والشهوات، وهذا أدى إلى انقسام المجتمع المسيحي إلى قسمين، الأول الرهبان والقساوسة، وتلك الفئة من المجتمع قادرة على تطبيق تلك القيم بقسوة وصرامة، أما القسم الثاني فهو الشعب عامة الذي لا يطبق تلك القيم بصرامة ولا ينصاع لها انصياعا تاما، ولكن ما يميز تلك القيم في الوقت نفسه أنها تخاطب طبقات المجتمع كافة وتنبذ الطبقية والعنصرية، بل على العكس فهي تنحاز إلى الطبقة الشعبية والضعفاء والفقراء، ومرجعها الأساس أوامر

الإله السماوية، ولا دخل للإرادة البشرية أو التفكير الآدمي، فكل ما أمر به الدين خير وكل وما نهى عنه فهو شر (الجمزاوي، 2021، الصفحات 44-45).

واستنادا إلى ما سبق فلعله من غير الدقيق حصر الالتزام الأخلاقي في المسيحية بفئة الرهبان والقساوسة؛ لأن القيم المسيحية موجهة لكل الناس دون تمييز، فتفاوت الالتزام بالدين هو خيار روحي وليست قاعدة، وما يميز الأخلاق المسيحية بحق هو انحيازها الواضح للفقراء والمهمشين، ونبذها للتمييز الطبقي والعنصري، إذ إن محبة الآخر تشكل جوهر رسالتها.

أما القول بأن الأخلاق المسيحية تستند فقط إلى الأوامر الإلهية دون دور للعقل أو الإرادة البشرية فهو تبسيط مخل، إذ إن المسيحية، وخاصة في تطورها اللاهوتي، جمعت بين الإيمان والعقل، واعتبرت أن فهم الإرادة الإلهية يحتاج إلى اجتهاد عقلي وروحي معًا.

أما القيم المسيحية المفلسفة فهي تلك التي أنتجها العقول المفكرة المتدينة والهدف هو البحث عن أسس نظرية للقيم الدينية، وتنقسم تلك العقول إلى قسمين، الأول فئة المحافظين أو اللاهوتيين وهم الذين تركوا النص المقدس يأخذ طريقه نحو القلوب دون أي تدخل أو تأويل، والمرجعية فقط لهم الله في التمييز بين الخير والشر، وليس للعقل دور كبير في التمييز بين الأفعال الحسنة والأفعال القبيحة، وسعادتهم القصوى تتجلى بحبهم لله وحب الله لهم، وأن الخير الأسمى لا يتحقق في الدنيا؛ لأنها لا تتسع له (الجمزاوي، 2021، الصفحات 44-45).

يتضح مما سبق أن القيم المسيحية عند المحافظين تعتمد بشكل كامل على الإيمان بالنص المقدس، دون دور كبير للعقل في الحكم على الأفعال؛ فهم يرون أن الخير الحقيقي لا يتحقق إلا في الآخرة، وأن السعادة تكون في محبة الله، لكن الاعتماد فقط على النص دون التفكير قد يجعل القيم أقل قدرة على مواكبة التغيرات في حياة الناس.

أما الفئة الثانية فهي فئة المفكرين المتحررين، وتلك الفئة حاولت أن ترمي على القيم صيغة فلسفية، ولعل زعيم تلك الفئة هو توما الإكويني (الهاشمي، 2021، الصفحات 18–20)[1]، اتخذت منه مثالا، ولا علاقة هنا للأقدمية، ولعله من الأوائل الذين استطاعوا إضفاء الطابع الفلسفي على المسيحية، وبهذا أضاف إليها الطابع العقلي، وعليه فهو ممثل الفلسفة الدينية، واستطاع أن يرفع من قدر الإرادة، معترفا بحرية الإنسان وقدرته على التخيير في دائرة محدودة، ولكنه سرعان ما يذهب إلى ما وراء الطبيعة، وإيمانه بأن السعادة ما هي إلا الاتصال بالله، وعليه فإن إرادة الإنسان مقيدة أمام القدرة الإلهية، ويرى هنري سدجويك (رولز، 2019)[2] أن فلسفة توما نابعة من الفلسفة الأرسطوطاليسية مع مزيج من الفلسفة الأفلاطونية جرى تأويلها في ضوء النظرية المسيحية، ويظن توما أن كل عمل صادر من الكائنات موجه نحو خير ما (سدجويك، 1949، صفحة 245).

واستئناسا بما سبق، فإن الفئة المتحررة من المفكرين المسيحيين حاولت المزج بين الإيمان والعقل، ومنح القيم المسيحية بُعدًا فلسفيًا، فقد سعى توما الإكويني إلى التوفيق بين الدين والفلسفة، متأثرًا بأفكار أرسطو وابن رشد، فأكد على دور الإرادة وحرية الإنسان، لكنه في الوقت نفسه حافظ على الإيمان بأن السعادة الحقيقية لا تتحقق إلا بالاتصال بالله، ورغم أنه منح العقل مساحة مهمة في فهم القيم، إلا أن إرادة الإنسان تظل محدودة أمام الإرادة الإلهية.

هذه المحاولة تعكس سعي المسيحية لتكون أكثر انسجامًا مع الفكر العقلي والفلسفي دون أن تتخلى عن أصولها الدينية.

[1] ت 1274م، وهو من أشهر الفلاسفة الإيطاليين، فضلا عن كونه أشهر ممثلي الفكر المسيحي الكاثولوكي، وما يميزه اهتمامه الكبير بابن رشد، فبحث في الشريعة، ودرس علاقتها بالفلسفة اليونانية، ونشاطه هذا كان له دور كبير في نشر الشريعة، لا سيما الفلسفة الرشدية.

[2] ت 1900، عالم اقتصاد وفيلسوف إنجليزي، ينتمي إلى المدرسة النفعية، وهو أحد مؤسسي جمعية البحوث النفسية، من أهم مروجي التعليم العالي للمرأة، مؤسس كلية نيوهام التي خصصت لتعليم النساء، وله أكثر من خمسة عشر مؤلفا معظمها حول فلسفة الأخلاق.

وهكذا يتضح أن الفكر المسيحي حاول الموازنة بين الإيمان المطلق والعقل الفلسفي، ليحافظ على ثوابته الدينية مع الاستفادة من أدوات التفكير العقلي في فهم القيم وتطبيقها في الحياة.

صفوة القول: الخير موجود في الفطرة الإنسانية بعيدا عن الفلسفة والعقل، فالخير موجود والشر أيضا موجود، واختيار الخير بدلا من الشر قرار وخيار.

المبحث الثاني: القيم الإنسانية العربية الإسلامية

امتازت الحضارة العربية الإسلامية بتعدد المناهل التي استقت منها موروثات الأمم والحضارات العريقة السابقة مجتمعة، وكانت القيم الإنسانية من أهم تلك الموروثات، وكان لها قدر كبير في إثراء منظومة القيم المعروفة عند العرب قبل الإسلام وفي ظله، فالقيم الإسلامية عبارة عن مزيج من قيم الأمم السابقة صهرت وأعيد تكوينها من جديد بما يتناسب مع الدين الجديد والواقع الجديد في الجزيرة العربية وما حولها، وانحصرت مصادر التراث القيمي والأخلاقي بثلاثة مصادر رئيسة: هي، مصادر دينية، وفلسفية، وأدبية، أما الدينية فمستقاة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتوراة، والإنجيل، وأما الفلسفية فمستقاة من الفلسفة اليونانية، والأدبية مستلة من الفرس والهند، وكل ما يدخل في إطار السياسة المدنية (دوز، 2016، صفحة 148).

فالدين الإسلامي لم ينكر القيم العربية الإنسانية التي كانت سائدة قبل الإسلام كلها، بل اعترف بالصالح منها وأبقى عليه، ولكنه أنكر المخالف لقواعد الشريعة الجديدة ونهى عنه.

ثمة مصدر أساس للقيم الإسلامية وهو الوحي الإلهي، وما يتبعه من تسليم تام بالأوامر الإلهية كونها هي مصدر الخير، وإذا أردنا أن نرى تجليات فلسفة القيم في العصر الإسلامي لا بد من العودة إلى مرجعين لا ثالث لهما، الأول ما جاء به القرآن والسنة النبوية الشريفة، والثاني ما جاء به مفكرو الإسلام من قيم وأخلاق تمت فلسفتها في ضوء الفلسفة اليونانية على وجه التحديد (موسى، 1943، صفحة 13).

القيم والدين الإسلامي

وضع الدين الإسلامي ضوابط وقوانين مستندة إلى ثنائية الترغيب والترهيب، كوسيلة لحث الإنسان على الالتزام بالقيم العليا، التي أجمعت عليها العادات والتقاليد، والأعراف، والموروث الإنساني، والموروث الشعبي، والأديان السماوية، ولم يتركها لرغبات الإنسان وأهوائه.

وعليه فإن القيم الإنسانية والفضائل الخلقية مستمدة من الوحي الإلهي، ومستندة إلى تعاليم القرآن والسنة النبوية الشريفة، صحيح أنها تستشهد بالفطرة، ولكن شريطة تعديل السلوك بشكل مستمر عن طريق التربية الصحيحة.

القرآن الكريم والقيم الإنسانية

يعد القرآن الكريم من أولى مصادر القيم الإنسانية، وتناولها من ناحيتين، وهما الناحية النظرية والناحية العملية، أما الناحية النظرية فتتمثل بالأسس والقواعد النظرية في فلسفة القيم، كالموقف من طبيعة الإنسان، ومصدر المسؤولية الخلقية، وعناصر السلوك الإنساني وما يشمله من قواعد وأسس، ولعل من أهم تلك العناصر وحدة الأصل الإنساني.

أما الناحية العملية فتتمثل بالمطابقة والمواءمة بين الأقوال والأفعال، كما تشمل الجوانب العملية في الأخلاق كلها سواء كانت على مستوى الأفراد، أو الأسر، أو المجتمعات، أو الدول (الجمزاوي، 2021، الصفحات 48-55).

وبعد، نلاحظ أن في كل مكان وزمان قيما كونية صالحة وباقية ومستمرة، كمان نلاحظ أن الخير والشر ثنائية ضدية كانت وما زالت وباقية إلى الأبد، فلا نجد أمة من الأمم كاملة تماما، ولا خالية من القيم والأخلاق، فالشعوب تتفاوت في قيمها.

واستنادا إلى ما سبق نؤكد أن هناك ما هو مشترك كوني صالح لكل زمان ومكان، مع تفاوت في تجسيد تلك القيم وغرسها في النفوس، فالثوابت تبقى ثوابت، والأصول تبقى أصولا، والجذور هي الأصل وإن ازدادت الفروع وتفرعت.

القيم الإنسانية هي فضاءات من المبادئ والسلوك، وتمثل قاعدة إنسانية كونية ثابتة مشتركة نابعة من الفطرة الإنسانية التي جبل عليها الإنسان، وتتفق عليها الشعوب، وإن اختلفت في العقيدة والجغرافيا والدين والعرق

والعادات والتقاليد، وتلك القيم أساس التعايش السلمي واستمرار للحياة البشرية، وداعمة للجهود الدولية في تحقيق الأهداف الإنسانية السامية وبث العدل، ونشر السلام، وإحلال حقوق الإنسان.

وإذا نظرنا إلى الشعب الفلسطيني نجده شعبا متمسكا بالقيم الإنسانية الكونية المشتركة، وما انفك يدافع عنها ويعترف بها على الرغم كل ما مر به من مآس وخيبات وحروب وويلات، ولم تكفه عن ممارسة تلك القيم الإنسانية العليا، وهذا كفيل بدحض الرواية الصهيونية وإبطالها.

الفصل الثاني

قيم الحق في المثل الشعبي الفلسطيني

المبحث الأول: مقاييس الحق وتجليها في المثل الشعبي الفلسطيني

مدخل

تندرج القيم في باب المعتقدات والعادات والطقوس، ويندرج في باب القيم كثير من الأصول التي تتفرع، لتشمل مجالات كثيرة من جوانب الحياة، إضافة إلى العادات، وهذا الباب من أكثر الأبواب تشابكا مع علم الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وهو يهتم بالإنسان وعلاقته بالجماعة، وما تطويه النفس من اعتقادات وقيم، وما ينعكس من تلك الاعتقادات والقيم على السلوك الظاهر، على شكل طقوس ومراسم، ومن الأمثلة على ذلك الاعتقاد السائد المتمثل مثلا في بعض العادات القديمة كتوزيع الحلوى عن روح الميت (المطور، 2007، الصفحات 66-67).

ومن الضروري معرفة الفروق والعلاقات بين القيم، والعادات، والتقاليد، والطقوس، والدين؛ لأنه يترتب على الجهل بتلك الأمور خلط مربك يخل كثيرا في الجهد العلمي للباحثين والمختصين والمهتمين بذلك المجال، ومرجعهم في ذلك علما الأنثروبولوجيا والاجتماع، فهذا الباب من أكثر الحقول الفولكلورية تشابكا بسبب المعتقدات، والقيم، والأعراف، والطقوس التي تستعصي عن الفهم؛ لصعوبة تفسيرها، وهو يتطلب التعمق في دراستها، وجمع الحقائق والشواهد المتعلقة بها (المطور، 2007، صفحة 67).

فالقيم تعبير عن الغايات البعيدة والأهداف النهائية للفاعل الاجتماعي، على اعتبار ما يجب أن يكون وليس ما هو كائن، وهي مثل عليا ترتبط بالفضائل، ومن خلالها تظهر معالم الخير التي تفرقه عن الشر، وكذلك تفرق بين الحسن والقبيح وهكذا (مجموعة من الأساتذة في علم الاجتماع، (د.ت)، صفحة 15).

"والأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه، حتى احكمه، وبالغ في التماسك حتى أتتقنه" (أبو الفضل، 1310هـ، صفحة 3).

والمثل هو: "أقوال حكيمة بليغة عميقة المعنى، دقيقة التصوير، تجري على ألسنة العامة، في بساطة وسهولة، وهي خلاصة تجربة عريضة تكونت عبر الزمن، وانتقلت متوارثة جيلا بعد جيل، حتى وصلت إلينا معبرة تعبيرا صادقا عن المعنى المراد" (حسونة، 2002، صفحة 10).

وهو أيضا: "جملة قصيرة موجزة، مصيبة المعنى، شائعة الاستعمال" (ربيع، (د.ت)، صفحة 30).

تعددت تعريفات المثل الشعبي، إلا أن جميعها أجمعت على نقاط مشتركة، فالمثل الشعبي جزء من التراث الشعبي، وهو قول مأثور موجز بليغ بسيط ذائع أصيل، يحمل قيما إنسانية عظمى، كما ويعبر عن عادات وتقاليد الشعوب، ويعبر أيضا عن حقائق مألوفة، وهو عبارة عن حكم عميقة، وعظات عظيمة، وتجارب عريضة ناتجة عن خبرات متراكمة، تكونت عبر زمن طويل، يعكس روح الشعب الصادر عنه فهو مرآه تعكس فكره ومعتقداته وثقافته وفلسفته وكل ما يتعلق بحياته الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية، وصل إلينا متوارثا جيلا بعد جيل، ومن الأجداد إلى الأحفاد، يجري على ألسنة العامة، له حظ كبير من الشيوع والانتشار.

والمثل لا يموت، ودليل ذلك ترديد الأمثال في المواقف المشابهة حتى وقتنا هذا، وتجري على ألسنة صغار السن وكبارهم، فظلت الأمثال وريثا شعبيا عبر الأجيال، لتأثيرها في النفوس، فهي رواسب ثقافية في اللاوعي الجمعي، تبقى حية لا تموت إلى يومنا هذا (المطور، 2007، الصفحات 58-66).

مقاييس الحق وتجلياتها في المثل الشعبي

تشير كلمة الحق إلى مصطلح فضفاض واسع متعدد المعاني، تمتد دلالته إلى حقول كثيرة كحقل المعرفة وعلم المنطق والقانون والأخلاق وعلم القيم وعلم الوجود، فهو مفهوم واسع يهم البشرية بكل تجلياتها، ولكننا

في هذه الدراسة سنقتصر الحديث على ما يخص موضوعنا الأساس وهو القيم الإنسانية، أي من الناحية الأكسيولوجية (علم القيم)، فالحق من أولى تلك القيم الثلاث، التي حصرها بيري بالحق والخير والجمال، فما مقاييس الحق؟ وما العلم الذي يدرسه؟ هذا ما سنتناوله في المبحث الأول من هذا الفصل.

إن العلم الذي يدرس تلك القضايا وطبيعتها وعلاقتها ببعضها بعضا هو علم المنطق (الطويل، أسس الفلسفة، ط3، 1958، صفحة 336). واتفق الباحثون المنطقيون على اختلاف مذاهبهم أن هناك مقاييس أربعة للحق هي: الوضوح، والنفع، وإمكانية التحقق، والاتساق.

أولا: الوضوح

يعتمد أصحاب هذه النظرية على مقياس الوضوح القاطع الشك باليقين؛ فثمة أمور واضحة بذاتها لا تحتاج إلى دليل يثبت صحتها، وأن معيار هذا المقياس هو الحس، فالحس أداة الإدراك الأولى، وسلامة الحس هي الشاهد الحق الأول على صدق الحكم الذي تناول المحسوسات، وهذا هو مبدأ الحسيين، ولكن في بعض الأحيان هناك أحكام صدقها لا يكون واضحا، ومع هذا يظل اليقين من صحتها قائما، شريطة أن تكون مستنبطة عن طريق استدلال منطقي سليم، ومن مؤيدي نظرية الوضوح جون لوك، وديكارت (السيد علي، 2021، صفحة 4).

أكد ديكارت أنه يتوجب على الإنسان في رحلة البحث عن الحقيقة أن يتسلح بسلطة العقل، ويترك جانبا أي سلطة أخرى، بمعنى الامتناع عن الحكم على شيء أنه حق ما لم يظهر ذلك بوضوح، والتمهل، والبعد عن العجلة، والتوقف عن إعطاء أحكام مسبقة، قبل النظر إلى ذلك الشيء بعناية (ديكارت، 1985، صفحة 33+142).

أن الوضوح معيار يفتقر إلى الدقة، أي أن العبرة ليست بالشكل الخارجي، ولا من النظرة الأولى اتجاه الأشياء، وعليه لا يكون المعيار الوحيد للحق، وليس من الصواب الإقرار بصلاحيته في جميع الحالات وبشكل مسلم به (الطويل، 1958، صفحة 331).

إن الوضوح قد يكون مزيفا أحيانا؛ فليست كل فكرة واضحة بالضرورة صحيحة، إذ يمكن أن تكون بعض الأفكار واضحة للعقل، بسبب العادة، أو التلقين، أو التصور السطحي، دون أن تكون مطابقة للواقع، أو مدعومة بالأدلة العقلية الدقيقة.

فهناك مسائل معقدة في الفلسفة، والعلم، لا تكون واضحة عند النظرة الأولى والتأمل الأول، ولكنها تتضح أكثر عند التفحص وتمحيص النظر وتقديم الدليل. وأن نظرة الإنسان تختلف من شخص إلى آخر؛ ويعود ذلك لطبعه، وبيئته، وثقافته، وفلسفته في الحياة، فتتعدد النظرات والشيء واحد.

مثلا يبدو القمر مضيئا بوضوح ظاهريا، ولكن الحقيقة أنه معتم، وما هو واضح بالنسبة لنا غير دقيق، إذن ليس دائما الوضوح يكون صادقا وقاطعا.

تعد ظاهرة الوضوح من أهم سمات الأمثال الشعبية، وتجلت نظرية الوضوح كظاهرة جلية واضحة في الأمثال الشعبية الفلسطينية، فالأمثال التي تناولت هذه الظاهرة كثيرة، منها: "باين متل عين الشمس" وفي بعض البلاد العربية: "أبين من عين الشمس".

في المثلين السابقين نجد أن الحقيقة تبقى ظاهرة جلية واضحة مهما تتابعت المحاولات لإخفائها، ساطعة كقرص الشمس مهما كانت هذه الحقيقة قاسية.

ويمكن الإشارة هنا إلى أسطورة عين الشمس، أو عين الإله رع، والتي تعد من أهم الأساطير لدى المصريين القدماء، وتقول الأسطورة إنه عندما شعر رع بتمرد البشر عليه، أراد عقابهم؛ أرسل عينَه الماثلة على هيئة الإلهة حتحور، ثم تحولت العين إلى قوة مدمرة، لكن رع، عندما رأى شدة غضبها وقوتها، شعر بالشفقة على البشر، فقام بإرسال الجعة لها؛ حتى تسكر، وتفقد وعيها، فتتوقف عن القتل.

ترمز عين الشمس إلى عدة مفاهيم متداخلة في العقيدة المصرية، فهي أداة للحماية، وفي الوقت نفسه رمز للدمار، كما أنها تجسد القوة الأنثوية للإله الذكر رع، وتمثل جانباً من جوانب دورة الشمس اليومية (سليم، 1990، صفحة 81).

ويتجلى الوضوح في أمثال أخرى، مثل: "الشمس ما تتغطى بغربال" (دانا، 2014)، أي لا يمكن لأحد أن يخفي ضوء الشمس فما بالك بغربال كله ثقوب، وكذلك الحقيقة واضحة لا تخفى ولا يمكن نكرانها، وكذلك الحق، فحق الشعب الفلسطيني بالأرض والهوية واضح وجلي مهما حاول ذلك الآخر طمسها وتهويد المعالم والهوية الفلسطينية.

ثانيا: مقياس النفع

مقياس الحق هو ما يقدمه من منفعة، وليس حكم العقل المجرد (جيمس، 2014، صفحة 58). وبات صدق الفكرة نابعا من مقدار منفعتها عن طريق التجربة (الطويل، 1958، صفحة 48). ذلك أن الأفكار هي خطة للعمل، وليس الحقيقة في ذاتها، كما يدعي أصحاب المذهب العقلي، والفكرة هي ما تنتهي إليه من نتائج وما تخلفه من آثار، وتلك النتائج والآثار هي الدليل على صدق تلك الفكرة، ومعيار صوابها، فطريقة اختبار حكم ما، هو الاستفسار عن النتيجة التي يؤدي إليها صدقه في تجارب الإنسان الحياتية، ومعيار الصواب والخطأ هو القيمة الفورية في تلك التجارب، واستنادا إلى ذلك أصبحت المنفعة هي مقياس الحق ومعياره، وأن التفكير هدفه العمل، وتصور أي شيء يُدرك بالحس هو أداة لتحقيق هدف معين، وأن اختبار تلك الأفكار من خلال التوقعات المرجوة منها من تجارب حسية، أو من خلال نجاح رد الفعل المناسب لها، وعليه فإن الحق هو التفكير المناسب لغايته، والصواب هو الفعل المناسب للسلوك (الطويل، 1953، صفحة 262).

اتسع مفهوم النفعية ليصبح صواب الفكرة وصحتها يتجاوز حياة الفرد العملية بل يعتمد على تكيفها مع حياة الجماعة ومعتقداتها.

وظيفة الفكر الأساسية هي خدمة الحياة، ومقياس صحة التفكير هو مقدار ما يحققه من نجاح، وكل ما يقودنا إلى الحق هو حق، والعلوم غير مقتصرة على المعرفة فقط، والتفكير المجرد ليس متصلا بمطالب

الحياة العلمية وحسب وإنما العملية أيضا، وأن كل بحث هدفه العثور على طرائق ووسائل تخدم الحياة العملية.

أما المذهب الإنساني الذي أتى به شيلر فيقر أن وظيفة الحق خدمة البشرية، وما يحققه من منافع لها، ولا حق ينبت بمعزل عن البشرية (الطويل، 1958، صفحة 325).

ولكن هذا المبدأ ألغى دور العقل، واعتمد على النتائج فقط، دون التفكير بماهية الوصول أو العمل. ويرجع ذلك إلى أن مبدأ النفع يُقوّم الأفعال بناء على نتائجها فحسب، دون النظر إلى طبيعة الفعل ذاته؛ فالعقل بـصفته أداة للتفكير المعياري والأخلاقي يبحث في مبادئ الفعل وقياسه للقيم، بينما مبدأ النفع يتجاوز هذا الدور، إذ يقيس صواب الفعل بمدى تحقيقه للمنفعة أو اللذة، بغض النظر عن الوسائل أو النوايا، حيث يُلغى دور العقل التأملي في توجيه السلوك وتقييمه، ويقتصر على التقييم الأخلاقي في ضوء النتائج فقط، دون التفكر في كيفية الوصول إلى تلك النتائج أو مدى صلاح السلوك ذاته.

تجلت ظاهرة النفع في الأمثال الشعبية، فكثير من الأمثال تناولت مفهوم النفع، بقصر النظر عن معناه الحقيقي أو المنطقي الفلسفي، ومنها: "الزرع البعيد عن بلدك ما بنفعك ولا بنفع ولدك"، أو "يا معمر في غير بلدك لا هو إلك ولا هو لولدك"، وهنا رسالة مبطنة مقصدها الانتماء للأرض، والتمسك بها، فهذه الرسالة ذات دلالة عميقة فحواها عدم ترك البلاد، والانتقال إلى بلد آخر؛ للعمل، أو للاستثمار، أو لأي سبب آخر، وعدم إضاعة الجهود في بلاد بعيدة لأنها لن تعود بالفائدة على صاحبها، فالكرامة الإنسانية لا تتأتى إلا في البلد الأم. والغربة تبقى قاسية، ويتقاطع هذا المثل مع أمثال أخرى تحمل الرسالة ذاتها وتحذر من الاغتراب وقلة الكرامة في البلاد الأخرى، مثل: "الي بطلع من داره بقل مقداره"، كما ويحذر من نقل خبرات أبناء الشعب إلى بلاد أخرى وإفادتها، فالأولى أن يكون هذا الخير للوطن الأصلي، ومنها: "الحجر بمحله قنطار وإن تزحزح وقية".

وهنا تأكيد على أهمية التمسك بالوطن والتحذير من الغربة وعواقبها الوخيمة التي ستعود بالندم على أصحابها.

ثالثا: مبدأ التحقق

يُكتشف معنى الفكرة بالسلوك الناجم عن الفكرة، ومن ثم فكرة التحقق من هذا المعنى عن طريق الخبرات الحسية التي تقودنا إليها، وأن الفكرة عن الشيء هي الفكرة المتوقعة من النتيجة والآثار الحسية لهذا الشيء، وخلاصة القول إن أن مبدأ التحقق يشير إلى أن معنى القضية –عدا التحليلية منا– هو التحقق منها بالحس، وأن يكون معناها متضمنا في مدلول حسي، أما القضية التي يتعذر التحقق منها بالخبرة الحسية فارغة من المعنى، والقصد وراء هذا، ربط القضايا بالواقع من أجل اختبار صحتها من زيفها (الطويل، 1958، الصفحات 327–328).

يظهر مبدأ التحقق في الأمثال الشعبية الفلسطينية: "قيس قبل ما تغيص"، فهذا المثل يطلب التخطيط والتنظيم الجيدين لأي عمل سنقوم به، والتحقق من مقدار النجاح الذي سيحدده وكذلك الخسائر، وعدم الاستسلام للعشوائية، فإذا كانت المكاسب أكثر، ومردود النفع العائد أكبر، فلا بأس من تنفيذ المخطط لذلك العمل، والعكس صحيح، فإذا كانت الخسارة كثيرة، والمنافع قليلة، والمردود العائد سيئا، فلا بد من العزوف عن ذلك العمل، لتجنب تكبد خسارات جمة.

قدم المثل نصيحة بسيطة جاءت من بساطة المثل نفسه مما جعلها أكثر فعالية، وأسرع وصولا، وأكثر تأثيرا. والمثل يحمل طابعا تحذيريا؛ لتأكيد الفكرة ذاتها، وتعزز أهمية النصيحة بالبعد عن التسرع، وعدم التخطيط الجيد قبل القيام بأي عمل.

وكثيرة هي الأمثال الشعبية التي تدلل على هذا المبدأ ومنها: "اللي إله عين مهوش أعمى"، وقولهم: "اللي إله عينين وراس بعمل زي الناس"، فالأمثال السابقة تؤكد بيان الحقيقة الحتمية لمن يتجاهلها أو ينكرها، فالأدلة واضحة وشاهدة وحاضرة لا مجال لنكرانها.

وقولهم في الدلالة عمن لا يفكر في الأمر "اللي بحرث بحر بحصد ريح"، ويؤكد هذا المثل أهمية التحقق من الأمر، وإلا ستكون العواقب وخيمة.

رابعا: الاتساق

معيار صدق الحكم لا يتحقق إلا في اتساقه مع غيره من أحكام؛ فالحكم الصادق معياره المسايرة لمجموعة من المعارف أو أن يكون من ضمنها، والاتساق هو الشاهد على صدق الحكم من خلال المطابقة والتناسق مع بقية الأحكام (الطويل، 1958، صفحة 328).

ولهذا التناسق أو الاتساق صورتان، الأولى: التناسق المنطقي، ويتمثل في أصناف الاستدلال الاستنباطي المحض، أي القياسي، وغايته اتساق الفكر مع نفسه، أو مطابقة النتائج مع مقدماتها بعيدا عن الواقع، وعليه فإن معيار الصدق في قضايا هذا النوع والاستدلال عليها يكون قانون عدم التناقض. والثانية التناسق المتصل بحقائق الواقع، أي الاتفاق بين حكم ما، وحالة معينة ويتمثل هذا النوع في الاستدلال الاستقرائي (الطويل، 1958، الصفحات 328-330).

فالحكم يكون صادقا إذا تتطابق مع معلومات حقيقة، وتطابق الحكم هو الشاهد على صدقه، أما إذا افتقر لهذا التطابق فيكون الحكم خطأ وباطلا.

ومن عيوب الاتساق المنطقي عدم مطابقة نتائج القياس الصوري مع الواقع دائما، مع أنه ينادي بعدم التناقض، والحق يتعدد بتعدد النسقات الصورية، وعليه لا يصلح الاتساق معيارا للصواب ومقياسا للحق (الطويل، 1958، صفحة 335).

واستئناسا بما سبق نجد أن الصواب اللجوء إلى المقاييس جميعها؛ للتمييز بين الحق والباطل، وعدم الاقتصار على مقياس واحد، فكل مقياس يحمل ثغرة يسدها مقياس آخر، وكل مقياس يكمل الآخر.

ويتجلى مبدأ الاتساق في المثل الشعبي الفلسطيني، نحو: "الجزر أخو اللفت"، ويحمل هذا المثل دلالة لغوية وتشبيها مجازيا وعنصرا مشتركا، وهو التشابه والتشارك والتوافق في الصفات عن طريق استخدام كلمة أخو، كما يحمل معنى عميقا فمهما تغير العنوان فالمضمون واحد، والاتساق هنا يقوم على الربط بين شيئين،

وهما الجزر واللفت، فهما نباتان جذريان ينموان تحت الأرض، ويشتركان في الصفات العامة مثل طريقة النمو، الاستخدام، القيمة الغذائية تقريباً، رغم اختلاف اللون والطعم والاسم. يُستخدم هذا المثل للتعبير عن الأشياء المتقاربة في الصفات، حتى لو ظهرت بعض الفوارق السطحية بينهم.

ويحمل هذا المثل نظرة تشاؤمية إلى حد ما، فهو يوحي بفقد الأمل؛ كأن تصبح الحياة مستقبلا أفضل مما هي عليه في الوقت الحاضر.

ومن الأمثال الشعبية التي تدلل على مبدأ الاتساق، المثل القائل: "من طينة وحدة"، يضرب هذا المثل للأشخاص السلبيين المتشابهين في السلوك والتفكير، وغالبا ما يقال في مواقف سلبية، والمثل القائل: "الطيور على أشكالها تقع"، يؤكد تشابه بعض الأشخاص في الطباع والسلوكات، وأيضا المثل القائل: "تمخض الجبل وولد فأرا"، يستخدم هذا المثل في موقف النقد والسخرية والاستهزاء من تضخيم الأمور والمبالغة فيها والنتائج المرجوة مقابل النتائج المحققة، أي في حين تقديم مقدمات كبيرة وانتظار توقعات عظيمة، تكون النتائج بسيطة وصغيرة، وهنا المفارقة تتجلى من خلال ثنائية ضدية، بين ما هو كبير وعظيم وهو "الجبل"، وبين ما هو صغير وتافه وهو "الفأر".

المبحث الثاني: وجوه الحق في المثل الشعبي الفلسطيني

يحمل المثل الشعبي قيما أخلاقية فاضلة ومعارف إنسانية عميقة، ووظيفته ترسيخ القيم والمعارف، وهو رسالة إنسانية خالدة، ولكن ثمة أمثال شعبية تحمل معاني سلبية كتلك التي تثير الحمية نحو الثأر والعصبية القبلية، والأمثال التي تقنن دور المرأة، ومكانتها في المجتمعات، وهي بلا شك قليلة مقارنة مع أمثالنا الشعبية التي تحمل أسمى معاني الإنسانية وأجلها.

والحق هو عنصر أساسي في علاقة الإنسان مع غيره، يبقى ماثلا لا يزول ولا يضعف مهما تغيرت الظروف، ولذلك قيل في المثل" الحق مثل الفلين ما بغرق"، وهو نقيض الشر والباطل "اضرب الباطل بالباطل يظهر الحق"، ويقابله الواجب الذي يجب قوله، والاعتماد عليه، وعدم التخلي عنه حتى لو تضرر صاحبه، "اللي بقول الحق بتنقعر طاقيته"، وللحق وجوه كثيرة، منها: العدل، والصدق، والأمانة، والشجاعة.

مظاهر قيم الحق في المثل الشعبي الفلسطيني

ومن أمثالنا الشعبية الفلسطينية التي تحمل بعمق تلك القيمة الإنسانية العظيمة "الموت حق"، نلاحظ أن المثل يتكون من كلمتين فقط، ومع هذا يحمل معان عدة، ودلالات عميقة، وحقيقة محضة، هي حقيقة الموت المحقق، تلك الحقيقة التي ترهب الطبيعة البشرية، وبالتالي تميل عنها بقصد، أو بغير قصد.

وتعد فلسفة الموت من أخطر الفلسفات حساسية؛ لأنها حقيقة مؤكدة، ونهاية حتمية لكل مخلوق على وجه الأرض، مع أن بعض النفوس البشرية تميل إلى الخلود، مع معرفتها المؤكدة باستحالة ذلك الشيء، كبعض الشخصيات الأسطورية كجلجامش الذي مضى باحثا عن نبتة الخلود، ونستذكر هنا ما قالته له صاحبة الحانة سدوري (باقر، 1971، صفحة 115):

إلى أين تسعى يا جلجامش

إن الحياة التي تبغي لن تجدها

حينما خلقت الآلهة العظام البشر

قدرت الموت على البشرية

واستأثرت هي بالحياة

أما الشق الثاني من المثل وهو كلمة "حق"، جاء من الحقيقة التي يذكر بها المثل لتقبلها من ناحية، والتأكيد على حتمية الموت من ناحية ثانية، والتجهز له من ناحية أخرى، وهذه الجهوزية تكون بالحفاظ على القيم الإنسانية والعمل بها؛ فالحياة مهما طالت فهي قصيرة، وأن الموت هو نهايتها الحتمية، أو الجزء الأخير فيها ومشهد النهاية، وأن الموت حقيقة مؤكدة قاطعة تطال المخلوقات جميعها كل بميعاده ومكانه وسببه.

وجوه الحق وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني

أولا: قيمة العدل

العدل قيمة إنسانية ضرورية في الأديان السماوية كلها، والعدل هو المطلب الأول للحق، وهو من الضرورات الإنسانية التي تفرق عالم الإنسان عن عالم الحيوان، بقوانين ودساتير تضمن استمرار الحياة البشرية بسلام بعيدا عن التعدي على حقوق الآخرين، والعدل هو حق طبيعي للجميع يشمل الناس كافة، بقصر النظر عن العرق أو الجنس أو العمر أو أي مقياس آخر فالعدل حق للجميع.

وفكرة العدل جاءت من فكرة الجماعة وفضاءاتها، فالطبيعة البشرية لا تناسبها العزلة، وتقتضي النفس أن تعيش ضمن جماعة، وهذه الجماعة لا بد لها من فرض قانون يسيرها ويضمن حقوقها فردا فردا (قربان، 1982، صفحة 114).

جاء الإسلام ليؤكد تلك القيمة الإنسانية العظيمة، وأنها من مقومات حياة الإنسان الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية، والعدل ميزان الله المستقيم الذي لا تميل كفته، وقسطه على الأرض، يعطي كل ذي حق حقه، وقد بدأ –جل وعلا– بالعدل من عنده، فهو العدل والعادل والحكم المنصف لعباده، وكما أمرنا

بالعدل في التوحيد، أمرنا به وحث عليه في سلوكنا الإنساني كله وفي أقوالنا وأعمالنا وتصوراتنا وفكرنا (حنفي، 2014).

يقول جل وعلا في الذكر الحكيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[النحل:90]، ونلاحظ أن الله عز وجل قدم العدل على الإحسان؛ فالعدل بين الناس وإعطائهم حقوقهم أهم من الإحسان إليهم فالعدل أولى وهو واجب، أما الإحسان فهي من الفضائل والقيم المستحبة (البوعينين، 2021).

فأمر الله واضح فهو يأمر بالعدل في توحيده، وفي حق عباده، ومن البدهي أن مسؤولية العدل بين الناس تكبر كلما كبر موقع الإنسان، فحاكم الدولة مسؤوليته مضاعفة، وكذلك القضاة وأصحاب الأملاك وكل من له سلطه تخوله أن يحكم بين الناس، فالعدل أساس الملك.

كان العدل جزءاً من العقيدة الدينية والأخلاقية في الحضارة المصرية القديمة، وتمثل في الإلهة ماعت التي ترمز إلى الحق والعدل، ونائبها الفرعون[1] الذي يعد ابن الإلهة ماعت وصورتها التي تمثلها على الأرض، إذ تقع على عاتقه مسؤولية تحقيق العدل بين الناس ومواجهة الظلم. أما في الحياة الآخروية فيتم وزن قلب الميت في محكمة أوزيريس بريشة ماعت لمعرفة مدى التزامه بالعدل في حياته (النشار، 1998، صفحة 161).

وفي بلاد الرافدين تعد شريعة حمورابي (1754 ق. م) من أقدم القوانين المكتوبة في التاريخ، والتي حاولت تنظيم العدل، ونصّت على مبدأ (العين بالعين والسن بالسن)، وعملت على حماية الضعفاء، وحفظ حقوق العمال والتجار، وهدفت إلى تحقيق العدالة التي تراعي الطبقات الاجتماعية المختلفة وتحافظ على النظام، إضافة إلى سياسة الجريمة والعقاب.

[1] الفرعون هو ابن الإله وصورته المتمثلة على الأرض

قيمة العدل في المثل الشعبي الفلسطيني

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي اعتنت بقيمة العدل الذي هو وجه من وجوه الحق: " ما بموت حق وراه مطالب"، والمطلب هو طلب العدل لتثبيت الحق.

يبدأ المثل بنفي يؤكد ديمومة الحق مهما مر الزمان، "اللي ما بوخذ حقه عنب بوخذه زبيب"، كما عبر النفي عن خلود الحق وعدم موته حتى لو مات أصحابه، فهو متوارث من يموت يسلم الراية لمن بعده.

ويتجلى العدل في الأسطورة الإغريقية، أسطورة بروميثيوس[1] رمز القوة الخلاقة التي خلقت البشر من الصلصال، وفي رواية ثانية أنها بعثت الحياة في الصلصال، وفي رواية أخرى أنها قامت بعملية الخلق والبعث معا (عوض، 2009، الصفحات 1+2/6–9؛ سلامة، 1988، صفحة 1+16).

وفي عودة الكبد رمز للبعث من جديد إلى الحياة والخلود، وفي انتصاره عودة الحق إلى أصحابه، ولا سيما إذا اعتمدنا الرواية القائلة إنه اخترع النار ولم يسرقها، فعلام عوقب إذن؟! فهو صلب في سبيل إنقاذ البشر وإقامة حضارتهم، فهو بذلك استعاد حقا، وخدم البشر لا أكثر، ولم يتعد على حقوق أحد، وهذا ليس بغريب عن رمز القوة الخلاقة، فهو ضحى بحريته في سبيل إنقاذ البشرية، فبروميثيوس الأسير من أجل حرية وطن بأكمله، وبروميثيوس الشهيد الذي ضحى بحياته من أجل الهدف السامي نفسه، وبروميثيوس هو الحق الذي سيحيا ويبعث من جديد.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تدعم علاقة العدل بالحق المثل: "صاحب الحق سلطان"، فللحق صاحب وهو سلطان قوي وواثق من نفسه، وهو من يمتلك السلطة، ويتمتع بالقوة الحقيقية ويتسلح بالحق والعدل.

[1] بروميثيوس سارق النار لخدمة البشر، ويقال إنه اخترعها ولم يسرقها، ومؤسس الحضارة، فإليه يعزى ازدهار الحضارة على وجه الأرض، فكانت عقوبته أنه كبل بسلاسل حديدية، وكان يأتي نسر ضخم اسمه آثون يأكل كبده كل صباح، إلا أن هذا الكبد يعود وينمو من جديد كل مساء؛ ليكون هذا العقاب أبديا، ولكن بروميثيوس لم يكن مستاء من هذا العقاب؛ لأنه على يقين أنه منتصر لا محالة، وأن الإله زيوس سيعفو عنه بلا شك، فكان عرافا عميق البصيرة يتنبأ بالمستقبل، ولهذا علاقة باسمه الذي يعني النبي، أو بعيد النظر، ومشتق منه

ثانيا: قيمة الصدق

الصدق هو الوجه الأول للحق، ولكن قبل الحديث عن الصدق في الأمثال، لا بد من الإشارة إلى بعض النماذج البدئية في الحضارات القديمة كأسطورة محاكمة أوزيريس في مصر القديمة، حيث تدور حول محاكمة الروح بعد الموت، أمام الإله أوزيريس واثنين وأربعين قاضيا كلهم من الآلهة، فإذا كان المتوفى صادقا يفوز في الجنة الأبدية وإن كان كاذبا يأكل الوحش "عاموت" روحه، وهذه الأسطورة تؤكد أن الصدق هو معياة النجاة في الحياة بعد الموت (سيمبسون، 1997، صفحة 140).

ويتجلى الصدق أيضا في الأسطورة اليونانية صندوق باندورا، فعندما فتحت باندورا الصندوق انطلق منه الشر والكذب، بينما ظل الصدق قابعا حتى النهاية، وترمز الأسطورة إلى فوز الصدق على الكذب، أي رغم انتشار الكذب والشر، إلا أن الصدق يبقى حتى النهاية، وهو طوق نجاة لصاحبه (كاتلين، 1987، صفحة 74).

والصدق أيضا يتمثل في الحفاظ على الوعد وصون العهد، وفي الأمثال العربية الجاهلية التي نهلت منها الذاكرة الفلسطينية، نجد أن تلك القيمة الإنسانية حاضرة في عقل العربي الجاهلي، وفي لا وعيه الجمعي، إذ ربط بين الوفاء بالوعد وصفات الرجل الحر مكتمل الرجولة، يقول المثل: "أنجز حر ما وعد" (الضبي، ه1300، صفحة 17)، فالرجل العربي معقود بلسانه، والحر هو المسؤول أمام أقواله وأفعاله، فكلمته واحدة، ولا يتراجع عن وعد قدمه مهما كلفه الأمر.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي نادت بالصدق "قول الحق ولة على قطع راسك"، و"حبل الكذب قصير".

ثالثا: قيمة الأمانة

هي المنظم لشؤون حياة الفرد والجماعة في العقيدة والعبادة والمعاملات والسياسة والقيم والأخلاق وهي سر سعادة الشعوب، أكدتها الشرائع السماوية كلها، وهي من أبرز القيم الإنسانية في منظومة القيم. (الميداني، 1999، الصفحات 649-650).

للأمانة وجوه كثيرة ومجالات عدة، فالأمانة تكون في العبادة، والإخلاص فيها، وهذه الأمانة الوحيدة التي تكون بين العبد وربه، أما الباقي من الأمانات فهي بين العباد أنفسهم (العثيمين، (د.ت)، صفحة 463/2).

قيمة الأمانة في المثل الشعبي

قبل الحديث عن الأمانة في المثل الشعبي لا بد من الإشارة إلى بعض النماذج البدئية التي أسست لقيمة الأمانة.

إن تتبع مفهوم الأمانة في الحضارات القديمة يظهر أن هذه القيمة لم تكن مجرد مبدأ أخلاقيا فرديا، بل كانت محورًا أساسياً في بناء النظام الكوني، ففي الحضارة اليونانية، اتخذت الأمانة بعدًا فلسفيًا وأخلاقيًا مرتبطًا بصراع القيم. فأسطورة بروميثيوس تطرح مشكلة عميقة حول الأمانة وجدلية الولاء، هل تكون للسلطة الإلهية، أم التزاما أخلاقيا تجاه البشر، كما أن المآسي الإغريقية مثل أوريستيا تناقش تعارض الأمانة للعدالة مع الأمانة للعائلة، مما يعكس رؤية جدلية للقيم الأخلاقية (كامبل، 2005، صفحة 112).

وفضيلة الأمانة نحو الناس والإله لدى المجتمع اليوناني تعني الوفاء بالعهد، وهي من أهم القيم التي عرضها هيرودوتوس؛ لغرض قيمي وأخلاقي بحت، وعاقبة خيانة الأمانة أو حتى التفكير في ذلك وخيمة، وهي خطئية تجلب اللعنة، لا تعود على الفرد فحسب، وإنما على ذريته لأجيال عدة، حتى الاندثار كليا، دون أن يكون لهم نسل، أو ذكر، أو أثر، سوى خطيئة جدهم الأول، واللعنة التي حلت بهم، وهذا من أهم القيم والمعتقدات التي كانت سائدة في الحضارة اليونانية (شحاتة و زهرة، صفحة 2259).

في المقابل، اتسمت الأمانة في الحضارة الرومانية بطابع قانوني، حيث جُسدت في الإلهة فيدس، التي كانت ترمز إلى الالتزام بالعقود والعهود، ليس فقط بين الأفراد، بل بين المواطنين والدولة، وهكذا أصبحت الأمانة شرطًا لاستقرار الإمبراطورية الرومانية (بيري د.، 1986، صفحة 65).

أما في حضارات بلاد الرافدين، لا سيما في شريعة حمورابي، فقد أخذت الأمانة بُعدًا قانونيًا واقتصاديًا واضحًا، حيث نُظمت العلاقات القائمة على الودائع، والعقود، والعهد، لضمان الاستقرار الاجتماعي.

واستئناسا بما سبق يتضح أن الأمانة في هذه الحضارات كانت قيمة محورية، لكنها تأخذ أبعادًا مختلفة؛ فهي في اليونان جزء من النظام الكوني، ومحل جدل فلسفي وأخلاقي، وفي روما نظام قانوني مؤسس، وفي بلاد الرافدين علاقة قانونية وأخلاقية متداخلة بين البشر والآلهة.

والأمانة وجه آخر من وجوه الحق، نجد أمثالا عربية عدة تناولت تلك القيمة، مثل: "المجالس أمانات" (دانا، 2014، صفحة 208).

فالخيانة ليست في الأموال فقط، الخيانة يمكن أن تكون أيضا في المجالس، والثانية تعد أشد وأقوى، قال الرسول، صلى الله عليه وسلم: "إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره" (الغزالي أ.، 2011، صفحة 91/4).

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي حثت على الأمانة، "من أمنك لا تخونه"، و "الدار أمان"، و"من أمنك لا تخونه ولو كنت خوان".

رابعا: قيمة الشجاعة

الشجاعة هي إيمان القلب وثبات النفس وقوة الثقة بالله، والشجاعة هي القدرة على مواجهة الظلم، والقوة على الوقوف في وجه الباطل قولا وفعلا، والتغلب على الصعوبات والظروف الصعبة الطارئة، واحتمال الأخطار بصبر وثبات، وهي تضحية فردية من أجل الخير الأعلى، وهي لا تعني عدم الخوف المقرون بالفطرة ولكن دون الإفراط فيه، وتعني أيضا الجرأة مقرونة بالتروي وعدم التهور، وضبط النفس المقرون بالثبات، وفعل ما يجب فعله وفي الوقت اللازم، فمن أكبر مظاهر الشجاعة استحضار الذهن عند الشدائد وبالسرعة المطلوبة (أمين، 1931، صفحة 153).

الشجاعة في المثل الشعبي الفلسطيني

قبل بدء الحديث عن الشجاعة في المثل الشعبي الفلسطيني، من المفيد الإشارة إلى بعض النماذج البدئية لتلك القيمة لدى الحضارات القديمة، ففي الحضارة الرومانية تجسد أسطورة إينياس، وهو بطل ملحمة الإنيادة تصور الرومان للشجاعة، كالتزام بالقدر والوطن، وأظهر إينياس شجاعة كبيرة في الفرار من مدينة طروادة المدمرة وقام بعملية إنقاذ بطولية أنقذ فيها والده وابنه، وهو لا يقاتل من أجل المجد الشخصي، بل من أجل تأسيس وطن جديد، مما يعكس انتقال الشجاعة من الفردية إلى الجماعية (فرجيل، 1978، صفحة 29).

وهرقل في الأسطورة اليونانية وهو أحد أشهر الأبطال الإغريق، وقام باثني عشر عملاً بطولياً كتكفير عن ذنب قتل أسرته، منها قتل الأسد النيمي، وصيد خنزير إريمانثوس، وجلب التفاحات الذهبية من حدائق الهيسبيريد.

تعد الشجاعة في شخصية هرقل تعبيرا عن تصور الإغريق لفكرة البطولة، حيث يكون البطل مطالباً بتجاوز حدود الإنسان العادي ومشابهة الآلهة، وذلك عبر القوة الجسدية والمهام المستحيلة (سلامة، 2021، صفحة 91).

يتضح من خلال النماذج البدئية أن للشجاعة في الحضارات القديمة مشتركًا جوهريًا يتجاوز الحدود الثقافية والجغرافية، إذ يتجسد مفهوم الشجاعة في مواجهة المخاطر الكبرى والتحديات الوجودية التي تهدد الفرد أو الجماعة، ويتكرر نموذج التضحية في سبيل المصلحة العامة أو نظام الأخلاق.

وأن الشجاعة في تصورات القدماء ليست مجرد قوة بدنية أو عمل حربي، بل قيمة أخلاقية وإنسانية ترتبط بالسعي نحو الخير، والعدل، والتغلب على قوى الشر والظلم والموت، وهذا ما يعكس طبيعة النموذج البدئي للشجاعة بوصفه مكونًا إنسانيًا مشتركًا يعبر عن احتياجات البشر في شجاعة المواجهة.

والشجاعة من وجوه الحق لا سيما الشجاعة في قول الحق، ومن الأمثال الشعبية التي تناولت موضوع الشجاعة: "الشجاعة صبر ساعة"، يقرن المثل الشجاعة بالصبر، وقوة النفس للمواجهة، والقدرة على التحدي، وتشير كلمة ساعة إلى وقت قصير ويعني عدم الانتظار الطويل أو الحقيقي بل القدرة والقوة على مواجهة الصعاب بعزيمة وثبات، والشجاعة كما تحتاج إلى الجرأة تحتاج أيضا إلى التخطيط والصبر والمقدرة على التحمل، والانصياع للظروف، والطاعة للمواقف، وتطويع النفس لكل ذلك.

ومن الأمثال التي تناولت قيمة الشجاعة أيضا: "الكثرة غلبت الشجاعة"، وقيل قديما "وضعيفان يغلبان قويا" (باشل، 1956، صفحة 417، رقم المثل: 2330)، فهل حقا الكثرة تغلب الشجاعة، نشأ هذا المثل في سياق اجتماعي في الثقافة العربية، وله جذور في الحكايات الشعبية، والموروث الشعبي، الذي يؤكد قيمتي التعاون والاتحاد، ويعبر عن تجربة إنسانية، وهي أن الشجاعة قد تهزم أمام التفوق الجماعي، والقوة الفردية مهما عظمت فإنها تهزم أمام التفوق العددي، ويضرب هذا المثل عادة في المواقف التي يظهر فيها شخص أو مجموعة صغيرة ذات شجاعة كبيرة، لكنها لا تستطيع الصمود أمام كثرة العدد و قوة الجماعة (أسود، 2006، صفحة 130).

والشجاعة لا تكون في الأبدان وفي الأفعال فحسب، وإنما تكون أيضا في الأقوال كالتعبير عن الرأي، وقول الحق، ومن الأمثلة الدالة على ذلك "الساكت عن الحق شيطان أخرس"، و" قول الحق ولو على قطع

راسك"، ويؤكد المثلان ضرورة قول الحق مهما كانت الظروف، ومهما واجهت القائل من مصاعب ومخاوف وتهديدات، وعدم الاستهانة بقول الحق، فكم كلمة حق أعادت الحقوق إلى أصاحبها؟ وكم كلمة حق أظهرت براءة المظلوم ونصرت الحقيقة؟

والشجاعة ليست حكرا على الرجال، فهي من صنيع النساء أيضا، فها هي الإلهة الإغريقية أثينا إلهة الحكمة والحرب، تمثل مواقف بطولية في المواجهة، وفي الحروب وفي حماية البلاد، وتروي الأسطورة أن أثينا قامت بمقاومة شرسة بينها وبين الإله هيفايستوس انتهت بانتصارها، وقامت بإخفاء ابنه في صندوق تحرسه الثعابين (السيد، (د.ت)، صفحة 30).

والأمثال التي تحدثت عن شجاعة المرأة قليلة نسبيا مقارنة في الموضوعات الأخرى، لكن المرأة الشجاعة حاضرة رغم تلك القلة، ومن تلك الأمثال التي دعت إلى تكريم المرأة وأظهرت شجاعتها، "زين نسا وعقل رجال" يضفي هذا المثل حصانة للمرأة متمثلة في قوتها وشجاعتها، ويدعو لعدم التعرض لها وتكريمها، وينفي أنها مخلوق ضعيف.

وتتجلى شجاعة المرأة في المثل القائل: "النساء يغلبن كل كريم، ولا يغلبهن إلا لئيم"، ولهذا المثل جذور دينية، تتمثل في قدوتنا رسولنا الكريم صل الله عليه وسلم، حيث أوصى بتكريم المرأة، وأن المرأة القوية لا يغلبها شيء، ويتقاطع هذا المثل مع المثل القائل، "اكسر جاه مية ولا تكسر جاه وليه"، فالمرأة القوية لا تقبل بالكسر أو الإهانة، وتتجلى قوة المرأة في حريها، في المثل القائل، "حرة الزين تمشي بين صفين وبنت الرجال ما تخاف من الرجال" (المبيض، 1990، الصفحات 474-475).

نستنتج أن مقاييس الحق، وهي: الوضوح والتحقق والنفع والاتساق، كلها تعد من صفات المثل الشعبي ووظائفه، فالوضوح يتجلى بوضوح الأمثال، وبساطة لغتها وقربها من الأفهام، فهي واضحة في شكلها عميقة في معانيها.

أما التحقق فكل مثل قيل نتيجة واقعة أو حادثة ارتبطت به ويقال في الحوادث المشابهة لها. فخلف كل مثل قصة حقيقية أو موقف حاصل.

وتتجلى ظاهرة النفع في الغالبية العظمى من الأمثال الشعبية فهي ذات وظيفة نفعية، فهي تقدم نصائح وتحذيرات نتيجة تجارب إنسانية واقعية.

وأما الاتساق فنجد لغة الأمثال نفسها متناسقة ومتوافقة، ويمكن أن يكون هذا التوافق مباشرا أو غير مباشر، إلا أنه حاضر ومتمثل في الغالبية العظمى من الأمثال الشعبية.

الفصل الثالث

قيم الخير في المثل الشعبي الفلسطيني

الصراع بين الخير والشر قائم مذ قامت البشرية على وجه الأرض، ولن ينتهي إلا بانتهائها، وسيتناول هذا الفصل مفهوم الخير، والخير الأسمى، ومعايير الخير، وأنواعه، وتجلياته في المثل الشعبي الفلسطيني.

المبحث الأول: معايير الخير وتجلياتها في المثل الشعبي

الخير غاية في نفسه وليس وسيلة، وهو سبيل اتصال معنوي نوراني بين الإنسان وخالقه، والطريق التي توصله إلى الملأ الأعلى، ويدرسه علم الأخلاق (غلاب، 1933، صفحة 78).

ينبغي تأصيل الثنائية الضدية بين الخير والشر في الأسطورة؛ فهي الوعاء الحاضن للفنون جميعها، ومن أهم الأساطير التي تناولت تلك الثنائية أسطورة إزيس وأوزوريس الأسطورة الشعبية الفرعونية[1]، ومازالت تستخدم العين المحروسة (عين حورس) حتى يومنا هذا، ظنا برد العين، والحماية من الحسد، وحورس هو إله الشمس عند الفراعنة، ويرمز إلى الخير والعدل، وانتهت الأسطورة انتصار الخير ورد الحقوق إلى أصحابها (رفعت، 2011، الصفحات 323-326).

تجلى الخير قيمة إنسانية في المثل الشعبي الفلسطيني، كالمثل القائل: "اعمل خير وارميه في البحر"، و" اعمل معروف وارميه في البحر، إن منفعش مع المخلوق ينفع مع الخالق" وهنا رسالة واضحة، وحث على عمل الخير دون انتظار مقابل، ووردت كلمة البحر وهي دلالة رمزية لعمق البحر الذي لا نستطيع رؤية ما نرميه فيه، أي ما نلقيه في البحر لا ننتظر أن نراه مجددا لأنه سيغوص عميقا في أعماق البحر، وكذلك

[1] تقول الأسطورة إن الملك أوزوريس زوج إيزيس كان حاكما محبوبا يقدم العون للجميع، وكان له أخ حسود يدعى ست وكان فاشلا عدوا للنجاح، فقام بصنع مكيدة للتخلص من أخيه أوزوريس رميه في البحر، ولكنه لم يكن يدري أن وراء أوزوريس زوجة وفية وشجاعة قررت البحث عنه، ونحجت في ذلك وأنجبت منه حورس صاحب ثلاث الأعين، وصاحب التعويذة السحرية التي وجهها ليثأر من عمه ست ويستعيد حق أبيه.

الخير نفعله دون انتظار ثناء أو مقابل، ودون الحاجة لمعرفة الناس في هذا الخير القائم، ويوحي المثل بقيمة الخير الإنسانية الخالصة بعيدا عن الرياء، والمصالح الشخصية.

ولعل توظيف صاحب المثل للبحر وربط الخير به، يشي بأصل أسطوري كنعاني يمثل أيقونة الصراع بين الخير والشر في صراع الإله بعل مع الإله يم (البحر)، الإله يم هو إله البحار، ويمثل قوى الفوضى والاضطراب وكان إلها قوياً، يحاول بسط سيطرته على الآلهة والبشر، ويريد أن يحكم السماء والأرض، وفي مقابله، الإله بعل، إله المطر والخصب والعواصف، يقف في مواجهة يم (فريحة، 1980، صفحة 51).

تمثل هذه الأسطورة مواجهة الصراع بين قوى الخير، المتمثلة في الإله "بعل"، وبين قوى الشر المتمثلة في الإله "يم". بمعنى حتى لو ألقيت الخير في قلب الشر فلا تندم عليه؛ لأنه سيؤتي أكله ويتغلب على الشر كما تغلب بعل الخيّر على يم الشرير.

مقاييس الخير

تعددت المقاييس والمعايير للتمييز بين الخير والشر؛ نظرا لتعدد مذاهب علم الأخلاق، فما المقياس الأخلاقي؟ وما مذاهبه في إطلاق الحكم على ما هو خير وما هو شر؟ وما تجليات المقاييس في المثل الشعبي؟

أولا: مذهب السعادة

مقياس الخير والشر هو السعادة، والسعادة هي الغاية المثلى الأخيرة في الحياة والدافع وراء أي عمل، ولأن السعادة كلمة مبهمة، حددها أصحاب هذا مبدأ السعادة أنها الحصول على اللذة وتجنب الألم، واللذة هي مقياس العمل، فالحكم على هذا العمل يكون حسب كمية اللذة أو الألم، فالعمل الذي ينتج لذة أكبر من الألم يكون خيرا، والعمل الذي ينتج ألما أكبر من اللذة يكون شرا، وتتفاوت درجة اللذة من عمل إلى عمل وكذلك

الألم. وكلما كان الإنسان شهوانيا أكثر طلب لذة أكبر، إلا أن نوعا من البشر لا سيما المفرط في الشهوات يواجه آلآما أكبر.

وأن معيار السعادة يعنى بالجماعة كما يعنى بالفرد، فمن واجب الفرد أن يسعى لطلب اللذة للعالم الذي يعيش فيه، وأن الحكم على العمل إذا كان خيرا بمقدار ما ينتج للناس لذة أكبر من الألم، ومن هنا نجد مذهبين للسعادة، الأول: مذهب السعادة الشخصية، والثاني: مذهب السعادة العامة أو مذهب المنفعة (أمين، 1931، صفحة 35).

قبل الحديث عن السعادة ومذاهبها وتجلياتها في المثل الشعبي، ينبغي الإشارة إلى بعض نماذجها البدئية في الحضارات القديمة، فنجد السعادة في بلاد الرافدين تتجسد بإنانا أو عشتار، إلهة الحب والخصب والنماء ورمز للسعادة الأرضية والوجدانية، وومثلة الفرح وسيدة الأغاني، وأم النسل البشري (السواح، 2002، الصفحات 52-60). ويقابلها الإلهة أفروديت اليونانية، إلهة الحب والجمال والفرح، ورمز السعادة الحسية والوجدانية (السواح، 2002، صفحة 57). والإله ديونيسوس، إله الفرح والخمر والنشوة، وهو إله جمع في ذاته كثيرا من الخصائص المتناقضة، وهذا جعل منه ربا لكثير من الأنشطة اليومية، والمتع الحياتية، والمشاعر العاطفية، فهو رب الفرح والمرح، والسعادة والشقاء (شعراوي، 1995، صفحة 505/2).

أما عند المصريين القدماء فتتمثل في الإلهة حتحور، الأم الكونية، والربة النارية، في مصر القديمة، وربة السعادة والبهجة، وسيدة الفرح والموسيقى والجمال والألوان (روبرتس، 2015، صفحة 24).

السعادة وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني

وهناك أمثال فلسطينية تدعم فكرة السعادة بوصفها مقياسا للخير من خلال ربطها بالقناعة التي تبعث في النفس الرضا والارتياح، يقول إحداها: "القناعة كنز لا يفنى"، ومن الملاحظ أنه هذا المثل جرى مجرى الحكمة؛ فله جذور في التراث الإسلامي والحكمة العربية، وتعود أصوله إلى قول علي بن أبي طالب، رضي

الله عنه: "عليكم بالقناعة فإن القناعة مال لا ينفد"، غير أنه لم يرد بالألفاظ نفسها وتم تحريفه قليلا (الأسدي، 2004، صفحة 117).

تضمن المثل رسالة وحكمة وقيمة إنسانية كبرى، وهي القناعة والرضا، فمتى اقتنع الإنسان واكتفى بما قسمه الله تعالى له، يعش هانئ القلب مرتاح البال، ويقصي باله عن الانشغال بما عند الناس من أملاك وأموال، فالقناعة والرضا والاكتفاء تعود بالسعادة على صاحبها.

وأكد المثل على أن كل ما هو معنوي يبقى إلى الأبد، عكس كل ما هو مادي يفنى وينتهي ويزول، ويؤكد ذلك الشق الثاني من المثل المتمثل في النفي (لا يفنى) الذي يفيد الاستمرارية، فكل ما هو مادي زائل وكل ما هو معنوي باق.

1. مذهب السعادة الشخصية

من واجب الإنسان أن يسعى وراء لذته التي تحقق له السعادة الشخصية، وهذا لا يتأتّى إلا عن طريق اختيار العمل الذي يعود على صاحبه باللذة والسعادة، فالعمل الذي يحقق هذا يكون خيرا وإذا لم يحققه أو يقربه منه يكون شرا. لأن "اللي بحسب الحسابات في الهنا ببات"، و"اللي الو عين مهوش أعمى" والإنسان السوي "اللي بحسب العاطلة قبل المليحة" لأن "الاحتياط واجب" و"والتعليق عند الغارة خسارة" "والفطين ما بحط راسه في الطين" و"بظل في السليم" .

إذا كان هذا هدف الإنسان العيش فقط فما يميزه عن باقي المخلوقات؟ فاللذة ليست هي الهدف الوحيد الذي خلق الإنسان من أجله، بل هناك غايات عليا، ووظائف أسمى خلق الإنسان من أجلها، فالله، عز وجل، اختاره خليفة في الأرض من أجل تعميرها، وحمل الأمانة التي رفضت السماوات والأرض والجبال حملها، فوجوده في هذه الدنيا أكبر من البحث عن اللذة الآنية.

ليس مقياس الأعمال بمقدار اللذة الوقتية أو الألم الآني فقط، بل تقاس الأعمال أيضا بالواجب الذي يحث الإنسان إلى النظر إلى جوانب حياته جميعها عن طريق اختبار ذلك العمل حول ما يحدثه من لذة أو ألم.

بناء على ما سبق، نستنتج أن اللذة العقلية هي الباقية لأن "العقل زينة"، وتتفوق على اللذة الجسمية السريعة الذاهبة، وأن خير لذة هي لذة الطمأنينة وراحة البال، وأن سعادة الإنسان تعتمد على حالته النفسية أكثر من العوامل الخارجية؛ "صفّي النية ونام في البرية"، فصفات الإنسان الخلقية والعقلية النابعة منه، والخاصة به، أفضل بكثير من المال والجاه. وهذا لا يعني تحريم اللذة الجسمية الطاهرة، ولكن شريطة عدم الإفراط بها وجعل الحياة مقتصرة عليها.

ويعاب على هذا المذهب أنه يصنع من الإنسان شخصا أنانيا (إبراهيم، المشكلة الخلقية، (د.ت)، صفحة 131) "خير ما فيك خير، دخانك بعمي العينين"، لا ينظر في أي عمل إلا بمقدار اللذة التي يحققها لنفسه، دون التفكير في احتمالية حصول ضرر الآخرين "خير ما إلك، شو نفعك؟"، وإذا أصابه خير لا يتمنى لهذا الخير أن يصيب الناس، وإذا أصابه شر يتمنى لهذا الشر أن يصيب الناس، لا ينظر إلى الناس كما ينظر إلى نفسه، ويحب للناس ما لا يحبه لنفسه، ويحب لنفسه ما لا يحبه للناس، ويتمنى دوما أن يكون الأفضل والأكثر سعادة.

ومن العيوب على مذهب السعادة أيضا إقصاء الإحسان كفضيلة؛ لأن المقياس هو اللذة الشخصية، إضافة إلى احتقار التضحية بالنفس من أجل منفعة الآخرين، واحترام التضحية بالآخرين من أجل لذة النفس وسعادتها (أمين، 1931، صفحة 40).

2- مذهب السعادة العامة أو مذهب المنفعة

على الإنسان طلب السعادة العامة للناس لا السعادة الشخصية، والحكم على عمل أنه خير أو شر، يكون حسب نتيجة هذا العمل، وما يقدمه من لذة أو ألم لا لصاحب العمل، أو العامل كمذهب السعادة الشخصية للمخلوقات جميعا (عويضة، 1993، صفحة 157).

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تحض على حب الخير للآخرين، المثل القائل: "الخير للغير، يجود عليك بخير"، يؤكد المثل أن من يعمل الخير من أجل الآخرين يعود عليه بالخير نفسه، وهذا مبدأ الجزاء من جنس العمل أو الجزاء بالمثل، فعمل الخير يعود بالخير على صاحب العمل، والطبيعة البشرية السوية تشعر باللذة والسعادة عند شعور الآخرين بالرضا والفرح.

ومن الأمثال التي تؤكد هذه القيمة قولهم: "تمنى الخير لجارك بتشوفه بدارك"، و" احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك"، ولذلك "اللي بزرع خير بحصد بركة".

وتؤكد الأقوال التي جرت مجرى الأمثال ما سبق: "اتق شر من أحسنت إليه" (دانا، 2014، صفحة 49).

ويتوافق معنى المثل السابق مع الحكمة الذي جرت مجرى الأمثال: "الخير في غير أهله كالماء في الرمل"، ويشير هذا القول إلى تقديم الخير للآخر، شريطة أن يكون هذا الآخر أهلا للتقدير والاستحقاق.

تتعارض الأمثال السابقة مع المثل الذي ذكرناه سابقا "اعمل خير وارميه في البحر"، إذ يضيف الثاني على الأول عنصر الحيطة والحذر. فعمل الخير واجب، ولكنه مقترن بالحذر.

هذا التعارض في الأمثال، ما بين تأييدها لفعل الخير مطلقا، والامتناع عن فعله إلا لمن لا يستحقه، إشارة واضحة على الصراع القائم بين الخير والشر على مر الأزمان والعصور وفي كل مكان، فالمثل الشعبي هو محاكاة للتجارب الشخصية، وملخص للحوادث الجارية عبر الزمن، ومرآة تعكس الصورة واقعية عن الحياة والتي يتخللها الصراع الأزلي ما بين الخير والشر.

ومن الأمثلة تناولت موضوع حب الخير للآخرين، والتخلي عن الأنانية، قولهم "إن عملت خير لا تشاور" وقولهم: "زيادة الخير خيرين"، والمثل القائل: "أحب لغيرك ما تحبه لنفسك"(دانا، 2014، صفحة 49)، يعبر المثل عن قيمة إنسانية عليا، وهي عدم الأنانية وضرورة التحلي بالعدل عند معاملة الآخرين.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تحدثت عن السعادة، "خير الناس من فرح للناس بالخير" (دانا، 2014، صفحة 66)، تتعدد القيم الإنسانية في هذا المثل، كالقناعة، والكرم، والتعاون، والإيثار، والمشاركة، وحب الخير للآخرين، والبعد عن الغيرة والحسد والأنانية، وهذا يخلق جوا نفسيا مريحا وبيئة اجتماعية تسودها المحبة والتعاون.

إن سعادة الجميع تكون مقصد الجميع، فمقصد أي إنسان تحقيق سعادة أفراد المجتمع لا سعادته الشخصية، ولتأكيد ذلك نجد أن الفضائل تبقى فضائل؛ لأن لذّاتها أكبر من آلامها بالنسبة للعدد الأكبر من الناس، حتى لو تسببت بالألم لعدد قليل من الأفراد، وكذلك الرذائل تبقى رذائل؛ لأنها تنتج ألما أكثر من اللذة للغالبية العظمى من الناس، وإن قدمت اللذة للعامل نفسه، أي لصاحب العمل إلا أنها تبقى رذائل.

وعند استخدام هذا المقياس ينبغي أن توافر بعد نظر، ودقة في البحث، والتجرد من الهوى وعدم التحيز للنفس، ثم المقارنة بين مقدار اللذة والألم.

ومن الجدير ذكره أن هذا الميزان بطيء ويتطلب دقة كبيرة، إلا أنه موثوق، ولكنه لا يستخدم لقياس الفضائل والرذائل المتفق عليها والموثوق بخيرها أو شرها؛ فقد قيست بهذا الميزان من قبل، وحكم عليها بالخير أو الشر، وكذلك لا يمكن استخدام هذا المقياس في فرع من الفروع أو جزئية من الجزيئيات، فهنا لا بد من العودة إلى الأصول المحكوم عليها من قبل دون الحاجة إلى ذلك المقياس.

نلجأ إلى ذلك المقياس في قياس أي مسألة لا تنتمي لتلك الأصول المتفق عليها من قبل، كالعادات التي اختلف عليها بما يتعلق بقبحها أو حسنها (أمين، 1931، صفحة 44).

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت قضية السعادة، "اعمل خير تلاقي خير"، و"الي ما فيه خير لأهله ما في خير للناس"، يشجع هذان المثلان على عمل الخير للناس؛ لأن هذا الخير بمحصلته سيعود بنفع على صاحبة، فهو يصنع الخير للآخرين ولنفسه في آن، وهذا يعني أن السلوك الجيد يعود على

صاحبه بالخير والفائدة، كما يعزز المثل قيما إنسانية كثيرة كالتعاون والمحبة والمساواة والمشاركة ونفع الأنا والآخر.

ومن عيوب هذا المذهب، أن المعيار فيه هو مقدار اللذة والألم، ولكن هذا المعيار غير دقيق؛ لأن اللذة والألم معيار غير ثابت، يتفاوت من شخص إلى آخر، وهذا يؤدي إلى ارتباك في حسابه مقدار.

يبقى أفضل من مذهب السعادة الشخصية، وله فضل كبير في توقد العقول، والبعد عن التحيز في الأحكام، ونبه إلى المطالبة من أصحاب التشريعات أن يعيدوا النظر في تشريعاتهم؛ حتى يطال الخير الناس جميعا، ولا يقتصر على طبقة معينة من الشعب (كرم، (د.ت)، صفحة 333).

تُعد السعادة الشخصية حالة شعورية فردية، وهي ردة فعل طبيعية عند تحقيق الفرد لذاته وبلوغ حالة من التوازن بين العقل والرغبات، كما رأى أرسطو أن السعادة تكمن في تحقيق الفضيلة والغاية القصوى للإنسان.

أما السعادة العامة، فهي حالة مجتمعية جماعية، وهي تعبير عن الخير المشترك، إذ أن المجتمع لا يكون فاضلاً إلا إذا تحقق العدل والإنصاف لجميع أفراده، كما أشار أفلاطون في تصوره للمدينة الفاضلة، حيث تُبنى السعادة العامة على انسجام الأفراد مع أدوارهم في المجتمع.

ويذهب الفلاسفة النفعيون، إلى أن معيار السعادة العامة هو تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، وهو مبدأ يجعل من المنفعة الجماعية غاية أخلاقية عليا.

لذلك، بينما تسعى السعادة الشخصية إلى الإشباع الذاتي وتحقيق الفضيلة الفردية، تهدف السعادة العامة إلى بناء نظام اجتماعي يضمن رفاه الأفراد جميعاً، مما يؤكد أن الفلسفة تربط بين سعادة الفرد وسعادة الجماعة في علاقة جدلية لا تنفصل؛ لأنها علاقة تكاملية؛ فالمجتمع الذي يتمتع بالسعادة يدعم سعادة أفراده، كما أن الأفراد السعداء يسهمون في بناء مجتمع مستقر.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت ظاهرة النفع "يا بخت من نفع واستنفع" (دانا، 2014، صفحة 1260)، ولا يختلف مضمون هذا المثل عن سابقيه، ويؤكد فكرة التعاون والمشاركة، وأن عمل الخير للآخرين يعود بالنفع أيضا على صاحب العمل، وكلما كان نفع الآخرين أكثر كان حجم الإفادة أكبر، وتشير كلمة بخت للحظ الوافر لذلك النافع له ولغيره، وضمان بيئة نفسية جيدة، وبيئة اجتماعية متوازنة.

ثانيا: مذهب التبصر والنباهة

تعني سرعة الفهم، والحاسة التي تدرك الخير أو الشر، وهي قوة غريزية باطنة موجودة في داخل كل إنسان، يميز بها الخير من الشر بمجرد النظر، وجاء هذا المذهب ردة فعل على مذهب السعادة، مبررين ذلك أن اللذة تكون دليلا على الخير، كما يمكن أن تكون دليلا على الشر كذلك.

أما الغزالي فيرى أن ما وراء الحواس والعقل طور آخر أكثر منفعة في المعرفة اليقينية، وهذا الطور هو نور من الله، وتلك هي البصيرة النيرة والتي تمكن صاحبها من إدراك الحقيقة في مختلف المجالات المعرفية (خبيزة، 2001، صفحة 187).

إذن البصيرة هي قوة غريزية يتمتع بها الإنسان، تمكّنه من التمييز بين الخير والشر دون حاجة إلى تعليل أو استدلال، وهي نوع من الحدس أو الإدراك السريع، تتجاوز الحواس والعقل لتبلغ طورًا أرقى من المعرفة، يمثل نورًا إلهيًا يهبه الله لعباده، يُعينهم على إدراك الحقائق في مختلف مجالات الوجود والمعرفة، ويتجاوز بذلك مذهب السعادة القائم على اللذة، إذ لا يُعد الشعور باللذة معيارًا كافيًا للتمييز بين الخير والشر.

وتعددت الأمثال الشعبية الفلسطينية التي ألقت الضوء على ظاهرة اللقانة والبصيرة مثل: "أعمى يقود بصير من قلة التدبير"، يحمل المثل رسالة عميقة في التخطيط الجيد، والاختيار الصائب، والقرار الصحيح، واختيار الرجل المناسب في المكان المناسب، فالأعمى رمز لقليل المعرفة وفقير الخبرة، والبصير هو صاحب المعرفة والخبرة والنظرة الثاقبة، وقلة التدبير كناية عن سوء التخطيط، والافتقار للمعرفة الكافية والخبرة العميقة.

ليست معرفة الخير والشر بحاجة إلى قياسهما بمقدار اللذة والألم، أي من غير النظر إلى النتائج وما يتبعها من نفع أو ضرر، وإنما المقياس الحق هو الصفات الذاتية في ذلك العمل، فالأمانة خير في ذاتها، وضدها الخيانة شر في ذاتها، وهذا واضح دون الحاجة إلى حساب النتائج، وما ينتج عنهما من لذة أو ألم.

تلك القوة الغريزية الباطنة تسمى التبصر والنباهة واللقانة، وقد تختلف باختلاف العصر والبيئة، لكنها متجذرة داخل نفوس الناس جميعا، فالإنسان بطبعه يملك نوعا من الإلهام من خلاله يستطيع أن يقدر قيمة أي شيء يحدث إن كان خيرا أم شرا، فالحكم على السرقة مثلا اتفق عليها على أنها من الرذائل، ولا حاجة هنا لإعمال الفكر للحكم عليها بأنها شر دون الحاجة لحساب مقدار الألم الناتج عنها (أمين، 1931، صفحة 49).

ارتبط مفهوم المثل الشعبي بقوة البصيرة، فقائلو الأمثال أصلا هم أصحاب بصيرة قوية ولقانة عميقة، وارتبطت مضامين بعض الأمثال بذلك أيضا؛ فكثير من الأمثال تناول موضوع الفطنة وقوة البصيرة، مثل: "الشكوى لأهل البصيرة عيب"، يرتبط هذا المعنى بمثل آخر، وهو "الشكوى لغير الله مذلة" فمضمون الرسالة واضح، وهو الكف عن الشكوى للناس، والاكتفاء بحلها ذاتيا، ويمكن استبدال الشكوى بطلب المشورة من أصحاب المعرفة والخبرة، وهنا إشارة إلى ضرورة الاستقلالية، وعدم إقحام الناس في المشاكل الشخصية.

في المثل ثنائية ضدية دلت على موازنة حية بين صاحب البصيرة الذي يمتلك الحلول والقدرة على معالجة الأمور، وصاحب الشكوى الذي يرمز إلى الضعف وقلة الحيلة، والاستسهال بطلب الحلول عن طريق الشكوى بدلا من التفكير فيها.

يمكن أن تخطئ تلك القوة فتحكم على الخير بأنه شر، وتحكم على الشر بأنه خير، ولكن اللقانة السليمة تدرك الخطأ وتصححه.

فقيمة العقل عظيمة، وعن طريقها نميز الحسن من القبيح والخير من الشر، ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تؤكد أهمية العقل، المثل القائل: "كل شيء إذا كثر برخص إلا العقل"، يؤكد المثل على أنه كلما زادت درجة وعي الإنسان وعلمه ازداد عقله قيمة، على عكس الأشياء المادية الأخرى، فكلما كثرت وازدادت أعدادها قلت قيمتها، فالعقول البشرية المفكرة تعد موارد كنزية ثمينة، وهنا رسالة مباشرة للاهتمام بالعقول البشرية، وتنميتها، وتقديرها، والتمسك بها، ومن المفيد أن أشير إلى ظاهرة هجرة العقول البشرية من موطنها الأصلي الذي يسيء تقديرها، إلى بلاد تعرف جيدا كيف تقدر قيمتها، وتطورها، وتعتني وتتمسك بها.

من خصائص هذا المذهب الذي يميزه عن مذهب السعادة بقسميه، أنه لا يرى الفضائل إلا فضائل في كل زمان ومكان ومهما اختلفت الظروف، وأن تلك الفضائل تعد من الأمور البدهية التي ليست مجالا للشك، وليست بحاجة إلى برهنة صحتها أو تأكيد خيريتها (أمين، 1931، صفحة 50).

إن تلك القوة موجودة في نفوس الأنواع البشرية جميعا، وهي حاسة طبيعية كباقي الحواس، إلا أنها بالطبع تتفاوت من نفس إلى أخرى حسب رقي تلك النفس وتربيتها.

تكثر الأمثال الشعبية التي أكدت على قيمة العقل وأهميته، ومنها: "كل واحد بزرع حقله على هوى عقله"، يشير المثل إلى أن كل إنسان له طريقته في الإبداع وفقا لعقله وطريقة تفكيره، فإن كانت طريقة تفكيره سليمة عاد ذلك عليه بالخير والنفع الكثير، وإن أساء التفكير عاد عليه بالشر. فما تزرعه تحصده وعلى قدر ما تنتجه من إنجازات بجهد وتعب، على قدر ما تحققه من نجاحات ونتاجات.

وكل إنسان يوجه تفكيره ويتخذ قراراته وينفذ مخططاته حسب قناعاته واهتماماته، فطريقة التفكير تترجم تصرفات أصحابها، وهذا يؤكد الاختلاف والتباين بين الأفراد وهذا تفسير نتائج فكرهم المختلفة، وهذا الاختلاف ضروري للحياة.

وهذا الاختلاف يتطلب الاحترام والقبول، فليست كل طرق التفكير واحدة، فهناك أناس محدودو التفكير، إلا أنه يتوجب علينا احترامهم وقبولهم، ما دامت نتاج أعمالهم وتصرفاتهم لا تسيء لأي فرد في المجتمع.

ويرى أصحاب هذا المذهب أن النفس البشرية أكثر رقيا من أن توجهه اللذة والألم، وأن قانون الأخلاق ليس خاضعا لنتائج العمل ومقدار ما ينتج عنه من لذة أو ألم، وإنما هناك صوت داخلي نابع من ضمير حي يناجي صاحبة بالقيام بكل ما هو خير وواجب، والابتعاد عن كل ما هو شر، وإنه يمكن لهذا الخير أو الواجب أن يقدم اللذة والسعادة لصاحبه، ويمكن أيضا أن يتطلب التضحية باللذة أو السعادة، فالواجب يبقى واجبا بقصر النظر إذا منع لذة وجلب ألما، والخير خير في ذاته مهما كانت النتائج (إبراهيم، المشكلة الخلقية، (د.ت)، صفحة 129).

والرواقيون (أمين ع.، 1945، صفحة 6)[1] خير من يمثلون هذا المذهب، وهم مجموعة من الفلاسفة القدماء، وهم أتباع الفيلسوف اليوناني زينون (جزاع، صفحة 194+195+197)[2]، الذي كانت نظرته مخالفة لنظرة أبيقور المعاصر له ومعارضا لتعاليمه، فبينما يرى الثاني أن الغاية المثلى من هذه الحياة هي الوصول إلى أكبر لذة ممكنة، كان الأول ينادي بضرورة ضبط النفس وكبح الشهوات وعمل الواجب لأجل الواجب، وأن العقل هو قوى يظهر من خلالها الأسباب والنتائج، والعقل المستقيم هو المعيار الوحيد للخير والشر، فكل فعل يتم من خلال العقل المستقيم هو فعل مستقيم، وكل فعل دون العقل المستقيم هو فعل قبيح (جزاع، الصفحات 195-197).

ومن الأمثال الشعبية التي تؤكد ما سبق وتطلق العنان لسلطة العقل، المثل القائل: "الله ما نشاف بالعقل انعرف"، وهنا دعوة لاستخدام العقل أكثر من السماع والكلام والمشاهدة، وتعزيز التفكير المنطقي، والحس النقدي بدلا من الانصياع وراء المسلمات والأمور السطحية، والتفريق بين التفكير المادي والتفكير العقلي،

[1] هي مدرسة فلسفية يونانية تأسست في القرن الثالث قبل الميلاد على يد الفيلسوف زينون الكيتيومي في مدينة أثينا، سُميت رواقية نسبةً إلى الرواق الملوّن، وهو رواق في أثينا كان يُلقي فيه زينون دروسه، والرواقية ليست مذهبا فلسفيا فحسب، وإنما هي مذهب أخلاقي أيضا، أهم ما يميزها نزعتها الإدارية التي جعلتها تطرح المثالية دون تردد.

[2] من شيوخ الرواقية الأوائل، ومؤسس المدرسة الرواقية في مدينة أثينا في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وصاحب مقولة (الحياة وفقا للطبيعة)، بمعنى أنه ينبغي لى الإنسان العيش وفقا للعقل، أي أن سعادة الإنسان تأتي من الحياة المتوافقة مع الطبيعة الكيلة، لأن الإنسان حينما يحيا وفقا للعقل كأنه يحيا للقانون الكبير الص يحكم العالم.

واستخدام كلمة (الله جل وعلا) تضفي روحا جمالية، وطابعا قدسيا، وإيحاء دينيا، يزيد من فعالية الرسالة التأثيرية، وهذا يعزز قيمته ودوره في طبيعة التوحيد وإدراك الحقائق.

المبحث الثاني: أنواع الخير وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني

الكون كله قائم على الثنائيات الضدية، ومن تلك الثنائيات ثنائية الخير والشر، فالخير هو مجموعة نسقية من القيم الإنسانية العليا متأصلة في الوجدان الإنساني، تسمو بحياة الإنسان إلى الأفضل، والخير قيمة مطلقة تتربع تحت عنوان الفضيلة.

يميز الإنسان بطبعه وعلى مر الزمن بين الخير ومراميه، وبين الشر وعواقبه، وعليه فإن البشرية تتفق على قيم كونية خيرة تتمثل في الحب، والجمال، والحرية، والمساواة، وغيرها، وفي الوقت نفسه هي متفقة على القيم المضادة وهي قيم الشر (وطفة، 2013، صفحة 101).

أولا: الخير الفطري أو الكمال الإنساني

قبيل الحديث عن الخير الفطري لا بد من الإشارة إلى بعض النماذج البدئية لدى الحضارت القديمة، تعبر عن الخير الفطري والكمال الإنساني، وتعكس تصورات الشعوب القديمة وفلسفتها حول الإنسان الخيّر، والخير الكامن في النفس البشرية، ومن تلك النماذج، إله العدل عند المصريين القدماء أوزيريس، الذي يمثل النموذج الأعلى للكمال الإنساني، وقصه بعثه الدالة على أن الخير لا يموت (أديب، 2000، صفحة 209).

وبرميثيوس في الحضارة اليونانية خير ممثل للخير الفطري؛ حيث قام بسرقة النار لخدمة البشر، رغم معرفته بالعقاب الإلهي، وهذا دليل على وجود الخير ومواجهة الظلم، وما يتتطلبه ذلك من تضحية (شعراوي، أساطير إغريقية، 1982، صفحة 85/2).

إن النماذج السابقة تؤكد التشاركية في وجود الخير في النفس البشرية، وأنه جزء من طبيعته الفطرية، وأن مرجعية الكمال الإنساني يتحقق في الخير الكامن فيه.

والخير الفطري هو الخير القائم في ذاته، والناتج عن الفطرة الإنسانية ومجبول عليها، والخير في ذاته هو كل عمل مدفوع بالفطرة ومتأصل فيها، وميولها من إشباع للشهوات وإرضاء لها، وتحقيق منافع أو درء مضرة، وما يتبع ذلك من سعادة سواء كانت للأنا أو للآخر.

ومن الأمثلة على الخير في ذاته هو درء الخطر عن النفس قبل وصوله، ودفع الأذى عنها قبل تحققه، المصحوبان بغريزة الحفاظ على الذات، دون وجود دافع للإرادة الحرة، أو التأثر بشعور الواجب، والانصياع إليه.

وينقسم الخير في ذاته إلى خيرات شريفة، شرفها الله بذاتها، والتي تنحصر في العقل، والحكمة، وخيرات ممدوحة، والمتمثلة في الفضائل، والأفعال الإرادية الإيجابية.

أما من حيث القيمة فتنقسم إلى خيرات تامة، وخيرات ناقصة غير تامة، والتامة هي التي لا تحتاج إلى وسيلة فهي وسيلة في ذاتها، وهذا هو الخير الأسمى (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 725)، كالسعادة فهي ليست وسيلة لغيرها ولا تحتاج إلى ما يكملها، أما غير التامة فهي وسيلة لغيرها، وتحتاج إلى ما يكملها، كالصحة أو الثروة أو النفوذ التي تجتمع مع بعضها، لتحقيق السعادة لأصحابها، وهي أيضا تعد وسائل لتحقيق تلك السعادة، وتحتاج إلى بعضها بعضا؛ بغية الوصول إلى الغاية العليا المطلوبة (غلاب، 1933، الصفحات 79-80).

الخير قيمة إنسانية عليا مؤصلة في فكرنا القديم، وفي تراثنا الشعبي العربي الفلسطيني، ومن الأمثال الشعبية التي تدلل على الخير الفطري لدى الإنسان:" اللي بعمل خير بسألش عنه" (حسونة، 2002، صفحة 474)، أي أن من يقدم الخير للآخرين لا ينتظر ثناء أو مقابلا، وهنا إشارة واضحة إلى التركيز على الهدف، وصرف التفكير عن صغائر الأمور.

ويتقاطع هذا المثل مع المثل القائل: "اعمل خير وارم في البحر" دلالة على عدم الالتفات، أو انتظار أي مقابل نتيجة فعل الخير، واحتسابه عند رب الخير.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت موضوع الخير في الوجود الإنساني، وأكد على خيرية الإنسان، وأن الإنسان خير بطبعه، وأن الخير محفوف بالفطرة، المثل الشعبي الفلسطيني القائل: "ابعد عن الشر وغنيله" (حسونة، 2002، صفحة 489)، وهنا رسالة واضحة في البعد عن المشكلات والنزاعات أو افتعالها وتجنب المخاطر، والتركيز على السلام والهدوء، وسعادة الإنسان وكل الأمور التي تجعله يعيش حياة هانئة هادئة.

ومن جهة أخرى فيما يخص الخير الفطري، هناك الخير الإلهي وهو الخير المطلق المتمثل بالقدرة الإلهية، ويتضح ذلك في المثل الشعبي، "الخيرة فيما اختاره الله" (حسونة، 2002، صفحة 507)، ويحمل المثل أسمى معاني التسليم بقضاء الله وقدره، وتعزيز الثقة بالله، فما يختاره الله هو الخير حتى لو استعصى ذلك على الإفهام، فحياة الإنسان تسير وفق خطة إلهية محكمة، تستغلق على فهم العقل البشري لها، فهي فوق قدرته.

وجاء المثل بأسلوب تأكيدي يقطع الشك باليقين، للتأكيد على أنه رسالة ربانية؛ لتنعم النفس البشرية بالهدوء والراحة، والسلام النفسي عندما يسلم كل أموره لله عز وجل.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت موضوع الخير بالفطرة، المثل القائل: "إن عملت خير افطر قبل الطير"، يؤكد المثل ضرورة الإسراع في عمل الخير، والالتزام في توقيته بمجرد عقد النية، وأن كل تأخير أو تقاعس يؤدي إلى كسل في أداء هذا الخير، وبالتالي اضطراب في النية وعدم حسنها ونقصان كمالها، وجاءت عبارة (افطر قبل الطير) دلالة على الباكورة في أداء العمل، ورمزا للسرعة في إتقانه، والتوازن بين العمل وتوقيت تنفيذه، وهذا يتقاطع مع المثل القائل: "كلشي بوقته حلو"، بقصر النظر عن التأجيل النمطي، والتسويف في التنفيذ الذي يحمله ذلك المثل، إلا أنه من جانب آخر يدلل على أهمية التوقيت، وقوة فعاليته، وسرعة تأثيره.

ترتبط السرعة في تنفيذ أعمال الخير بكمية الخير في نفس صاحبها، وفي كمية العطاء داخله، وهذا له علاقة بالفطرة التي جبل عليها.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تحمل مفهوم الخير بالفطرة، "الخير مرزوق" (دانا، 2014، صفحة 466)، إن المعنى الظاهر للمثل يعني أن كل النعم والخيرات التي ينعم بها صاحبها ليست بمجهوده الشخصي، وإنما مقدرة ومكتوبة من عند الله –عزّ وجل– فهما اجتهد الإنسان فأقداره وخيراته ونعمه مقدرة بيد الله وحده.

والمثل يحذر الغني من الوقوع في تيه التكبر والغرور، ويدعو إلى التواضع؛ لأن الخيرات والنعم التي ينعم بها صاحبها ليست بحذاقته وحنكته، وإنما بقدرة الله عز وجل، كما يدعو الفقير إلى الرضا، والشعور بالطمأنينة والراحة النفسية؛ لأن كل شيء بيد الله عز وجل، وكل شيء لحكمة، لا يعلمها إلا هو –جلّ جلاله– ويذكر بأن الرضا بالقدر عبادة لا يتقنها إلا المؤمن.

أما المعنى الباطن فهو أن الخير المزروع في باطن الإنسان هو أيضا مقدّر ومكتوب، فالله عز وجل يزرع الخير في قلوب الناس جميعا، ولكن هذا يتباين من إنسان إلى آخر حسب طبيعة ذلك الإنسان، واستعداداته النفسية، وميولاته الفطرية، وبيئته ونشأته، وظروفه المحيطة.

ولا بد هنا من الإشارة إلى موضوع الإرادة البشرية، فالرواقيون مثلا يجدون أن تلك الإرادة حرة، وأن الأمر يعود للإنسان في تحقيق الخير الأخلاقي، وأن له القدرة على التحكم في تصرفاته، وانفعالاته، وإذا أصابه الشر، فإن هذا الشر مرده إلى ما منحه الله للإنسان من حريه التصرف في شؤون حياته (جزاع، صفحة 197).

واستنادا إلى ما سبق، نتوصل إلى نتيجة مفادها أن الإرادة البشرية حرة ومقيدة في آن، فالإنسان يمتلك في ذاته قدرة عقلية تتيح له التمييز والاختيار بين الأفعال، وهذه الحرية الداخلية هي ما يميزه ويجعله كائنًا

أخلاقيًا، لكن هذه الإرادة تتأثر بشبكة من المؤثرات المعقدة كالبيئة، والتربية، والثقافة، وفي الوقت يعيش ضمن نظام كوني أشمل، يخضع لقوانين عليا متمثلة في مشيئة الله أو القانون الطبيعي للكون.

أما المعنى الباطن فهو أن الخير المزروع في باطن الإنسان هو أيضا مقدّر ومكتوب، فالله عز وجل يزرع الخير في قلوب الناس جميعا، ولكن هذا يتباين من إنسان إلى آخر حسب طبيعة ذلك الإنسان، واستعداداته النفسية، وميولاته الفطرية، وبيئته ونشأته، وظروفه المحيطة.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي حضّت على الخير النفعي، المثل القائل: "الخير بالخير والبادي أكرم" (دانا، 2014، صفحة 466)، يؤكد المثل مبدأ المعاملة بالمثل في العلاقات الإنسانية من الناحية الإيجابية، وأن لكل فعل ردة فعل، ويشجع على المبادرة والبدء بأعمال الخير، وقرن البادئ والمبادر بعمل الخير باسم التفضيل (أكرم)؛ لتأكيد أهمية البدء والمبادرة بتقديم الخير للآخرين، لا سيما للإنسان المقتدر على عمل الخير والقادر عليه، وأنه من الطبيعي أن يقابل مثلما قدّم، ويشير أيضا إلى ضرورة التوازن والتكامل والتبادل في العلاقات الاجتماعية.

وقائمة الأمثال التي تناولت موضوع الخير الفطري تطول، ومنها: "زيادة الخير خير" (دانا، 2014، صفحة 467)، يشير إلى الاستمرارية في عمل الخير مع ضرورة خلق نوع من التوازن، وهذه الزيادة في الخير تحقق نوعا من الاستقرار النفسي بين أفراد المجتمع، وتزيد من تعزيز الروابط فيما بينهم.

ثانيا: الخير الأخلاقي

إن الخير الأخلاقي موجود لدى الحضارات القديمة، والنماذج البدئية التي تجسد الخير الأخلاقي وتعلمه كثيرة، منها، أسطورة أيتانا في بلاد الرافدين، الملك السومري الذي أنقذ نسرا وأعاده إلى الحياة، وساعده في الوصول إلى أعلى الشجرة لعالج زوجته من العقم (مخلف، صفحة 333).

وأسطورة البطل سيسيفوس اليونانية الذي عوقب بدحرجة صخرة إلى الأبد، وهذا يدل على أن الخير ليس فقط في النتيجة، بل في التمسك في الفضيلة حتى في مواجهة اللامعقول، ومقاومة العبث أو اللاجدوى (كامو، صفحة 138).

نستدل مما سبق أن لا فرق بين النماذج البدئية التي تحمل تجسد الخير الفطري عن تلك التي تجسد الخير الأخلاقي؛ لأن الخير الفطري يقود إلى تعلم الخير الأخلاقي، فالأول يعد خير قدوة ومرشد للثاني.

إن الخير الأخلاقي هو كل فعل مدفوع بالإرادة الكاملة الخيرة، وتعد الإرادة الخيرة خيرا في ذاتها؛ فهي لا تستمد خيريّتها من الأهداف التي تحققها، أو من الأسباب التي تعمل لأجلها، بل تنبع من داخل نفسها. وجوهر الإرادة الخيرة هو النية الطيبة وحتى تكون تلك الإرادة خيرة في ذاتها يجب أن تكون متأثرة في الواجب دون النظر إلى النتائج، وهو اجتهاد الإرادة في الوصول إلى الكمال الإنساني، في حين أن الخير في ذاته هو الكمال الإنساني نفسه وهذا هو الفارق بين النوعين (مدين، 1986).

والخير الأخلاقي أو الأدبي هو مجموعة الخيرات التي تأتي بالقوة، أي تحتاج إلى تهيؤ واستعداد للوصول إلى النوع الأول بقسميه الخيرات التامة أو الشريفة، والخيرات غير التامة أو الممدوحة (عويضة، 1993، صفحة 263).

إذن الخير الأخلاقي هو كل ما هو مكتسب إضافة إلى الفطرة المتأصلة في نفسه، مثل تأثير البيئة المحيطة، والنشأة والتربية، وغيرها.

والتقوى أهم شروط الخير الأخلاقي، فمن يتحلى بالتقوى يكون –بلا شك– خيرا في طبعه، وهذا الكلام متجذر في أدبنا الشعبي، لا سيما في المثل الشعبي، "خير الزاد التقوى"، شبه المثل التقوى بالطعام الأساسي أي بشيء ملموس؛ ليدلل على قيمتها المادية، إضافة إلى قيمتها المعنوية. وقرنها باسم التفضيل (خير) على سبيل الخيرية المطلقة.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية الأخرى التي دعت إلى الخير الأخلاقي: "شوف المنيح تسبيح" (حسونة، 2002، صفحة 521)، وهنا دعوة صريحة إلى عمل كل ما هو جيد والابتعاد عن الأعمال القبيحة، وهناك أيضا دعوة ضمنية، وهي توجيه النظر والتركيز إلى كل ما هو إيجابي، وعدم الالتفات وتشتيت الجهود وإضاعتها في الأمور السلبية؛ بغية الوصول إلى نوع من الرضا، والحصول على القبول الإنساني.

وهناك أمثال فلسطينية تناولت موضوع الخيرية، ولكن بطريقة سلبية بالصورة الظاهرة، إلا أن باطنها جاء ليؤكد الصراع الأزلي القائم بين الخير والشر، مثل: "خيرا تعمل شرا تلقى" (جبر، 2010، صفحة 188)، وتناول المثل فئة قليلة تقابل الإحسان بالإساءة، وترد على الخير بما هو شر.

حمل المثل عنصر المفاجأة الذي تمثل في التضاد بين السبب والمسبب، أو التناقض بين الفعل والنتيجة، من خلال الطباق الوارد في المثل (خير تعمل، شر تلقى)؛ لتوضيح الفارق بين عمل الخير وبين النتيجة اللامنطقية المترتبة على ذلك، وهذا الأسلوب المنافي للطبيعة البشرية جاء لتنبيه المتلقي، وتذكيره بالطبيعة البشرية المنطقية، وهي مقابلة الخير بالخير بصورة غير مباشرة.

تختلف الجوانب الخيرية من شخص إلى آخر، وتتفاوت معايير الخير من طبيعة بشرية إلى طبيعة بشرية أخرى، وهذا الاختلاف يعود لأسباب كثيرة، منها البيئة، والتربية، والأهل القدوة، والمعلم القدوة، والصديق المؤثر، ومرحلة الطفولة، والظروف المحيطة، وغيرها كثير مما لا نستطيع مناقشته في هذا المقام، إلا أن من المهم إثبات هذا التفاوت لا سيما في أدبنا الشعبي الفلسطيني.

وتتفق أمثالنا الشعبية مع هذا الكلام، ولا غرابة في ذلك فهي مستمدة من الواقع وراجعة إليه، ومن تلك الأمثال: "لو سلم المارس من الحارس كان الدنيا بخير" (حسونة، 2002، صفحة 517)، مع أن المثل يحمل غير رسالة، وربما تكون تلك الرسائل غير مباشرة، والمثل يتناول موضوع الرقابة والحماية واستدللنا على ذلك من كلمة مارس التي تعني الأرض، وكلمة حارس الذي يقوم بحراسة هذه الأرض، ومن المهم أن تكون لتلك الرقابة حدود ومعايير.

وهذا المثل يتفق مع مثل شعبي آخر يؤكده، ويحمل معناه، وهو "حاميها حراميها"، وهنا لا بد من الإشارة إلى ضرورة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تحث على عمل الخير وإكماله، "الخير بالتمام" (دانا، 2014، صفحة 466)، يؤكد المثل أن خير الأمور تمامها واكتمالها، فالأمر لا يكون جيدا إلا إذا كان مكتمل الأركان، وعمل الخير لا بد أن يقدم كاملا متكاملا، والفعل أي فعل يبقى ناقصا حتى يتم اكتماله، وأداؤه على الوجه الأكمل، دون نقص أو ثغرات؛ لتحقيق أسمى النتائج، وللوصول إلى أفضل التوقعات. والخير لا يكون خيرا إلا بتكامل أركانه.

اختزل المثل معاني عميقة على الرغم من إيجازه وبساطته، فكلمة (الخير) عبرت عن أعمال الخير كلها من أقوال أو أفعال، وكل ما يخص كلمة خير بمعناها الواسع، وكلمة (التمام) تعني الوصول إلى الخير الأسمى.

ويتقاطع المعنى السابق مع أمثال شعبية كثيرة، منها: "إن أطعمت إشبع"، وهذا يؤكد معنى المثل السابق فإذا قدمت خيرا قدمه على أكمل وجه وعلى أتم شكل.

لعل من أهم الأمور التي تتم بها أعمال الخير حتى يصل هذا الخير إلى أتم درجة وأعلى منزلة هي تقديمه بصمت، دون فضح ذلك الخير حتى لا يفقد قيمته، فيد فاعل الخير اليسرى لا يجب أن تعرف ما قدمته يده اليمنى.

وما سبق ذكره يذكرنا بقول رسولنا الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" (الألباني، 1988، صفحة ح:1880)، يقتصر الحديث هنا على العمل بشكل خاص، ولكن نستطيع أن نسحبه على كل عمل يتعلق بأعمال الخير، وعلى أية حال لا يصل أي عمل مرتبة النجاح إلا كان كاملا متكاملا.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت موضوع الخير الأخلاقي، "الصابرين على خير"، يثمن هذا المثل قيمة الصبر كفضيلة عليا، والصبر تتفاوت درجاته من إنسان إلى آخر، ومن هنا أدرجناه تحت بند الخير الأخلاقي، الذي يكتسبه الإنسان من البيئة المحيطة، وكلما زادت قيمة الصبر لدى الشخص وصل إلى مراده، وكل ما يتعلق بأموره من خير وانفراجات؛ فالصبر مفتاح الفرج؛ ووسيلة لتحقيق الهدف.

جاء المثل بلغة سهلة مباشرة، وجاءت كلمة (الصابرين) على صيغة جمع للتعميم، وجاءت عبارة (على خير) لتأكيد النتيجة، وهناك علاقة سببية بين السبب وهو الصبر، والنتيجة وهي الوصول إلى الخير المحقق.

ومن صور الخير الأخلاقي في المثل الشعبي الفلسطيني، "الخير بخير، والقلة بتحير"، يثير المثل مسألة التبادل الاجتماعي، أو المكافأة، فمن يقدم خيرا يلقى خيرا، ومن يقدم شرا يلقى شرا، ومن العدل والمنطق أن مكافأة الخير تكون بالخير فالخير يخلق خيرا، ولكن نقص هذه الخير وقلته وعدم اكتماله يسبب الحيرة في كيفية الرد عليه ومقابلته، فالخير البشري عملية متبادلة هدفها التوازن.

وبرز معنى المثل بالتضاد بين شقي المثل (الخير بخير)، و(القلة بتحير)، فالشق الأول يؤكد رد الإحسان بالإحسان، والشق الثاني يؤكد أن قلة الإحسان تسبب نوعا من الحيرة في كيفية مقابلته، والرد عليه.

ويتقابل هذا المثل مع المثل القائل: "الخير بخير والقهر بغير"، من البدهي أن يقابل الخير بالخير، هذا في الحالة الطبيعية، ولكن عند شعور المرء بالقهر لا يستطيع أن يداوم على تقديم الخير لمن تسبب في قهره وأذيته، فمهما كان الإنسان خيّرا لا بد أن يتغير جراء الظلم والقهر الواقعين عليه.

يؤكد أن الخير والشر نسبيان عند البشر، وغير ثابتين، وتختلف درجتهما من شخص إلى آخر، ويمكن أن يختلفا في الشخص نفسه بسبب تغير الظروف والبيئة المحيطة.

ثالثا: الخير النفعي

المبدأ الأخلاقي الذي يقوم عليه هذا النوع هو النزعة الجماعية، و أن الأفعال تكون خيرة بقدر ما تحققه من السعادة لأكبر عدد ممكن من الناس، وتدفع عنهم أكبر قدر ممكن من الشقاء (ميل، 2012، صفحة 37).

يركز هذا النوع على الجماعة أكثر من تركيزه على الفرد، وتتجلى سبله في تحقيق سعادة الآخر أكثر من تركيزه على الأنا.

تجلى الخير النفي في الفكر القديم، وفي الأساطير، وفي الممارسات الأخلاقية لدى الحضارات القديمة، وظهر هذا المبدأ الأخلاقي الذي يحكمه النزعة الجماعية، ومنها أسطورة برومثيوس اليونانية، التي سبق الحديث عنها، وهذا النموذج البدئي يؤكد تضحية الفرد من أجل البشرية جمعاء.

وفي حضارة مصر القديمة الإلهة ماعت، ربة الحق والعدالة، فالخير العام في تصورها يقوم على حفظ التوازن الجماعي لا حسب رغبة الأفراد (هرو، 1988، صفحة 221).

وملحمة جلجامش في حضارة سومر، الذي تحول من السعي الفردي إلى الخير العام، حيث كان في البداية يسعى إلى البحث عن سر الخلود، لكنه سرعان ما عاد ليهب نفسه لحكم شعبه، بعدما أدرك أن سر الخلود في الخير العام (حنون، 2006، صفحة 219، اللوح 11).

بعد الحديث عن بعض النماذج البدئية للخير النفعي، يأتي الحديث عن هذا الخير في المثل الشعبي، وكثيرة هي الأمثال الشعبية الفلسطينية التي حثت على تقديم الخير والمنفعة للناس، منها: "ابن الناس ملوش إلا الناس" (حسونة، 2002، صفحة 477)، يمكن تفسير المثل من النظرة الأولى أنه ذو معنى سلبي، يتضمن معنى المصالح الشخصية، والعلاقات الاجتماعية، إذ أن الرجل ذا الحسب والنسب، والذي يكون من عائلة معروفة، يعتمد على النفوذ في حل أموره، بدلا من فعلها بمجهوده الشخصي، وهنا استغلال لمكانة عائلته الاجتماعية، وطمس قدراته الشخصية ومهاراته الفردية في تحقيق أهدافه، والوصول إلى غاياته، في الوقت الذي تكون فيه السبل مقطوعه مع غيره من أبناء العائلات البسيطة.

ويمكننا أن ننظر إليه من ناحية إيجابية، وهي أهمية الروابط الأسرية، والعلاقات الاجتماعية في استمرار الحياة الفردية، ودعم الفرد ومساندته للوصول إلى ما يصبو إليه، وكأن الإنسان ليس له إلا أخوه الإنسان، ويمكن أن يكون هذا الخير مقدما لما هو أهل له، أي لمن قامت عائلته بتربيته تربية سليمة، فالخير محصور تقديمه لمن يستحق، وهذا الاستحقاق محصور لأبناء العائلات المرموقة، أي المتماسكة التي هي رمز لحسن التربية.

وهناك أمثال أخرى ذات صلة وتحمل الفكرة ذاتها، مثل: "الناس للناس"، ويتفق المثل السابق مع المثل القائل: "الجنة من غير ناس ما بتنداس"، أي أن المكان مهما كان جميلا فجماله لا يكتمل إلا بجلسائه، ويفنى جمال المكان بفناء من فيه، وهنا تأكيد على أهمية العلاقات الاجتماعية؛ من أجل تحقيق التوازن في الحياة، ودعوة إلى توطيد تلك العلاقات، والتمسك بها؛ لأن الإنسان بحاجة دائمة إلى أخيه الإنسان، فهو لا يستطيع أن يعيش منفردا وحيدا، وإنما الفطرة البشرية تقتضي العيش ضمن جماعة.

ومن الأمثال الشعبية الفلسطينية أو الأقوال التي جرت مجرى الأمثال، التي تعزز ظاهرة الخير ونفع الناس: "الناس للناس والكل بالله" (حسونة، 2002، صفحة 477)، يؤكد المثل أن الإنسان بحاجة إلى أخيه الإنسان، وأن مرجع الناس ومآلهم إلى الله –عزّ وجل– ورزقهم عليه، وأقدارهم بين يديه، أي أن البشر يعتمدون اعتمادا متبادلا على بعضهم بعضا، وأنهم يعتمدون اعتمادا نهائيا على الله، وهنا إبراز لحقيقة كونية كبرى هي أن كل شيء بيد الله عز وجل، ولحقيقة إنسانية كبرى يختزلها الاعتماد المتبادل بين البشر، فالمريض يحتاج إلى الطبيب لتقديم العلاج له، والطبيب يحتاج إلى مهندس لبناء العيادة له، وهكذا.

وهنا دعوة إلى شد وثائق الروابط الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، وتعزيز قيم التعاون والتكاتف والتوازن والتفاعل الإنساني بين البشر، ويذكر المثل أن الإنسان هو وسيلة اتصال، أو وسيط سخره الله –عز وجل– فكل إنسان قادر أن يقدم عونا، سواء أكان ماديا، أم معنويا، أم على شكل آخر لأخيه الإنسان، يكون أصلا من عند الله –عز وجل– فكل شيء بيده، وبقدرته، وتحت أمره، وهنا تتجلى القدرة الإلهية في أبهى صورها.

ومن الأمثال الفلسطينية الدالة على الخير النفعي، المثل القائل: "انوِ الخير يجيلك خير" (دانا، 2014، صفحة 467)، يؤكد المثل أثر النية الطيبة، فالله يعطي البشر على قدر نواياهم، وكلما كانت النية باتجاه الخير كان المردود على صاحبها الخير، ويؤكد المثل العلاقة المنطقية بين الأسباب والنتائج، فكلما كانت النوايا محمودة كانت النتائج والآثار طيبة، فما يزرعه الإنسان يحصده، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، لذا يحث المثل على طيب النية وحسنها؛ لأنها مربوطة بالنتائج العائدة على أصحابها، فمن ينوي الخير يعود عليه الخير، ومن ينوي شرا يعود عليه الشر، وهذا يتقاطع مع المثل القائل "ربنا يعطي الواحد على قدر نيته"، وهذه دعوة لأن معرفة النوايا ليست من شأن البشر، ومن يعلم بالنوايا ويعرف الخفايا هو الله –عز وجل– فقط، ولا يسع البشري إلا الدعوة بعودة النوايا على أصحابها إيجابية كانت أو سلبية.

ومن الأمثال الشعبية التي تدلل على المعنى نفسه، "تمنى الخير لجارك، تجده في ديارك" (دانا، 2014، صفحة 467)، وهنا رسالة مباشرة للإنسان ليتمنى الخير للآخرين حتى يجد الخير لديه، ويحث المثل على تجسيد العلاقات الاجتماعية الجيدة بين الناس، لا سيما بين الجيران، والتأكيد على أحقية الجار على الجار، والمثل على الرغم من قصره إلا أنه يتسم بالعمومية، وأيضا غني بالمعاني السامية والقيم الإنسانية، كالتعاون والتسامح وحسن المعاملة.

ويتقاطع هذا المثل مع أمثال شعبية في تراثنا الشعبي تحث على حسن معاملة الجار وأهمية ذلك، مثل: "الجار قبل الدار"، و"النبي وصى على سابع جار"، وهذا يدلل على القيم الإنسانية الفلسطينية العليا.

ومن الأمثال الفلسطينية الشعبية التي تحث على الخير النفعي، "جادوا علينا الخيرين بمالهم، وحنا بمال الخيرين نجود"، يدلل المثل على أن عملية الكرم والعطاء عملية تبادلية، والخير ينتقل من إنسان إلى آخر، والكرم لا يقف عند أحد، وهذا يدلل على التعاون والتكاتف بين أفراد المجتمع، وبالتالي علاقات اجتماعية صحية، ومجتمع متعاون.

وتكررت كلمة الخيرين دلالة على العموم وتأكيد قيمة العطاء الكبير والخير الكثير، ولعل كلمة الخير هنا تتجاوز المعاني المادية إلى كل ما هو مادي إيجابي كالقيم الإنسانية العليا والفضائل الأخلاقية الإيجابية.

كثيرة هي الأمثال الشعبية التي تناولت موضوع الخير النفعي وحثت عليه، منها، "خير الأرض من خير السما" (دانا، 2014، صفحة 467)، يؤكد المثل مدى تأثير الأصول على الفروع، فكلما كانت الأصول قوية كانت الفروع قوية والعكس صحيح، ويتفق المثل مع قانون الطبيعة والتوازن الحاصل بين الأسس والنتائج، وهو أنه كلما كان الغيث غزيرا كان الزرع أكثر خصوبة، وكذلك كلما كان الأصل قويا كان الفرع أكثر جودة، وكلما كان الأساس متينا كانت النتيجة جيدة، وكل ما يُزرع يُحصد.

تدل الثنائية الضدية، السماء والأرض، على التكامل والتوازن في قانون الطبيعة، وضرورة ذلك للحياة البشرية.

ومن الأمثال الفلسطينية التي تنادي بمنفعة الناس، المثل القائل: "اطلب لأخوك الخير إن ما جالك منه يكفيك شره"، يشير المثل إلى ضرورة فعل الخير لأخوة الدم والنسب وأخوة الدين، دون انتظار رد أو مقابل، فلو لم يرد الخير بالخير على الأقل لا يرد الخير بالشر، ويحمل قيمة إنسانية عليا وهي التسامح، فتمني الخير للغير قيمة إنسانية بحد ذاتها.

وجاءت الثنائية الضدية بين الخير والشر في سياق المثل، لا لنفي وجود الشر وعدمه، بل دعوة للحد منه، بالتركيز على الخير، وجاء المثل بأسلوب أمر مصحوب بنهي من باب تعميق المسؤولية تجاه الخير، وعدم التخيير، وانعدام المشاركة بينه وبين الشر، ودون انتظار مقابل، وحسبك اتقاء شره.

تنقسم الخيرات إلى خيرات غائية وخيرات غير غائية، والخيرات الغائية تنقسم إلى خيرات تامة وخيرات غير تامة.

وفي تقسيم آخر: مؤثر لذاته، ومؤثر لغيره، ومؤثر لذاته ولغيره، وخير لجماعة معينة فقط، وفي وقت محدد ولظرف معين، وخير للجميع وفي كل الأحوال والأوقات.

ومن الأمثال الشعبية التي تناولت هذا النوع، المثل القائل: "شيء خير من شيء" (دانا، 2014، صفحة 468) ، يشير المثل إلى قيمة إنسانية وهي القناعة والرضا بما هو مقدر ومكتوب، فتحقيق الشيء حتى لو كان ناقصا أو قليلا أفضل من اللاشيء وأفضل من العدم، ويتقاطع هذا المثل مع المثل القائل: "الريحة ولا العدم"، وهذا من شأنه أنه يبث الراحة النفسية ورضا القبول في قلب الإنسان.

وفي تقسيم آخر للخيرات: جوهري كالخيرات الإلهية الأزلية التامة، ونوعي فيما يخص الذات، و كمي يتعلق بالاعتدال، وزمكاني فيما يخص المكان والزمان المناسبين، كالمثل القائل: "كل الناس خير وبركة" (دانا، 2014، صفحة 468)، يدعو هذا المثل إلى غير قيمة إنسانية في آن، فهو يدعو للتعاون عن طريق الأدوار التكاملية التي يقوم بها الفرد، فكل فرد مهم في موقعه وله وظيفة معينة، كما يدعو إلى المساواة، ونبذ النظرة الدونية إلى بعض البشر، فكل البشر سواء، وكل فرد له منافع وفوائد.

ومنها أيضا خيرات معقولة ومنها خيرات محسوسة، وأيضا يكون الخير في الأفعال والأقوال والأحوال والغايات (عويضة، 1993، صفحة 264). كالمثل القائل: كل من خيرك وخلي حصة لغيرك" (دانا، 2014، صفحة 468)، يدعو المثل إلى التعاون، والإحساس بالآخر ونبذ الأنانية، وتقديم الخير لا سيما لمن يقدر على ذلك.

الفصل الرابع

قيمة الجمال وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني

المبحث الأول: طبيعة الجمال وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني

العلم الذي يدرس قيمة الجمال هو علم الجمال، وهو العلم المتعلق بالإحساس بكل ما هو جميل، وتحديد معايير التقدير الجمالي، وهو كل تفكير فلسفي في الفن.

والجمال قيمة إنسانية عليا، وظاهرة طبيعية موجودة في مخلوقات الله وكونه، وصير القوانين والأسباب التي تحفظ هذا الجمال، وعد التعدي عليه من مظاهر إفساد الكون، كما عده من المحرمات، ومسلك الطريق إلى الشر (الشعراوي، (د.ت)، صفحة 20).

وتأكيدا لما سبق، تحديدا في التراث الديني، نستحضر الحديث الشريف القائل: "إن الله جميل يحب الجمال" (الألباني، 1988، صفحة رقم الحديث (7674) 1270) يشير الحديث إلى قيمة الجمال، ويؤكد الاهتمام بها، فالجمال في أصله صفة إلهية، قبل أن يكون صفة في مخلوقات الله، وأن كل ما هو جميل مرده إلى الله – جل وعلا – كما يدعو إلى الاهتمام به وضرورة تقديره في جوانب الحياة كافة، سواء أكان في المعاملات، أم المظاهر، أم الأعمال، أم الأخلاق، أم السلوك، فالجمال ليس مجرد ظاهرة، بل هو قيمة إنسانية عليا، حضت عليها الديانات السماوية؛ وركز عليها الإسلام، لما لها من أهمية عظمى في حياة الأفراد.

يمر الإحساس بالجمال بثلاث مراحل، الأولى تصور المميزات المادية من ألوان وأصوات وحركات، والثانية تنظيم تلك المميزات عن طريق صور وأشكال، والثالثة تطابق هذا التنظيم مع الحالة أو الشعور أو الإحساس (ريد، (د.ت)، صفحة 410).

فالمرحلتان الأولى والثانية متداخلتان لا يفصلها فاصل زمني، وتعبران عن مرحلة الشعور بالجمال والاستمتاع به، أما المرحلة الثالثة فهي تعبر عن المرحلتين السابقتين أي الشعور بالجمال والاستمتاع به إضافة إلى التعبير عنه في مجاله الفني الواسع (برجاوي، (د.ت)، صفحة 105).

والجمال حاضر في الفكر القديم؛ فها هي الإلهة أوفروديت التي ولدت من رغوة البحر في الأسطورة الإغريقية (دريني، 1983، صفحة 227)، إلهة الحب والجمال تتربع على عرشهما، الشابة أبدا والأجمل بين الإلهات، وهي من أشهر إلهات التاريخ الإغريقي، عرفت في الأسطورة الرومانية باسم فينوس وتعني الزهرة (فوزي، 1980، صفحة 63).

وهي ابنة أورانوس ولدت من زبد الأمواج البحرية، واتسمت ببياض الثلج، وحملها النسيم إلى جزيرة قبرص وأحاطت بها الحوريات الشابات وألبستها ثيابا من الذهب، ووضعن على رأسها إكليلا من الأزهار (دت، 1994، صفحة 45).

ومن الأساطير المتعلقة بها، أسطورة التفاحة الذهبية، وأسطورة هوميروس في الإلياذة في أثناء حرب طروادة (أحمد م.، (د.ت)، الصفحات 51-53).

وفي الأساطير الفرعونية، نجد أسطورة الإله نفرتوم إله العطر والجمال لدى المصريين القدماء، ابن الإله بتاح والإلهة سخمت.

وتعد زهرة اللوتس هي الشعار الأول للإله الشاب نفرتوم، والزهرة بشكل عام هي رمز للبعث والتجدد، كما هي رمز للجمال. وصورته الأسطورة على صورة صبي يافع تتفتح فوق رأسه الزهرة المقدسة، وأحيانا على شكل طفل صغير يظهر وجهه داخل برعم الزهرة، بينما جسده توحد مع جسم النبتة نفسها (لالويت، 2003، صفحة 362).

وتعد اللوتس في عيون المصريين القدماء الشمس التي بشروقها تكون الحياة، وبغيابها يحل الموت إلى أن يبزغ فجر حياة جديدة.

وتجسد ميلاد الشمس في الإله رع وهو اللوتس الكبرى، كما تروي الأسطورة المصرية القديمة، التي تفتحت بكل جمالية من بحيرة الحياة الأولى نون، وهكذا انتصر الجمال على القبح (عبد الناصر، 2007، صفحة 4).

رمزت اللوتس إلى الولادة الجديدة والتجدد والبعث؛ إذ يظهر أبناء حورس الأربعة فوق الزهرة التي تخرج من الماء، أمام عرش أوزيريس (ويلكسون، 2007، صفحة 118).

تجسدت قيمة الجمال في المثل الشعبي، وتجلت في أبهى صورها، وإذا ركزنا على المرحلة الأولى في الإحساس بالجمال وهي تصور المميزات المادية كاللون مثلا، نجد المثل الآتي: "عنتر أسود وصيته أبيض".

فالشكل الخارجي والجمال المادي لا يعبران بالضرورة عن شخصية الإنسان ودواخله، ويدعو المثل إلى التوقف عن إطلاق الأحكام بناء على المظهر الخارجي، والمثل عبارة عن صورة بصرية باستخدام ثنائية اللونين الضدية ما بين الأبيض والأسود أو الداخل والخارج، فاللون الأسود عبر عن لون بشرة عنترة، واللون الأبيض رمز للسمعة الطيبة وشهرته بالشجاعة والبطولة، فلون بشرته لم يتعارض مع بطولته وليس مقياسا لشخصيته، ويؤكد أن التعارض بين المظهر والجوهر لا يؤثر على شخصية الإنسان، وهنا لم يركز المثل على الجمال المادي وإنما على جمال السمعة وطيب الأثر بوساطة الجمال في التضاد اللوني الذي خلق صورة ذهنية وبصرية عززت من قوة التأثير.

يتأثر الإحساس بالجمال وتذوقه بعوامل عدة، منها: الحالة النفسية للفرد، والعوامل المحيطة به، والمعتقدات الخاصة به. ولقد تجلى الإحساس بالجمال وعوامله في المثل الشعبي الفلسطيني في فضاءات جمال المرأة، ومنها: "السمار نص الجمال" (طاهر و داليا، (د.ت)، صفحة 124)، وإذا وقفنا عند مورد هذا المثل فيعود أصله إلى بيئة الريف والبدو التي كانت تقدر صفة الجمال الطبيعي، وتربطه في الأصالة والعمل في تحت الشمس والتوحد مع الأرض.

وإذا وقفنا عند قصة المثل وخلفيته ودلالته في المجتمعات القديمة فكانت صفة السمار تدل نشاط المرأة وحيويتها وانتمائها للأرض، على النقيض من صفة البياض الذي يوحي بالكسل (الهدوي، 2004، صفحة 134).

تناول المثل موضوع جمال الوجه لا سيما جمال البشرة ولونها، ففي بعض الثقافات يكون معيار جمال الوجه لون البشرة الفاتح وهذا الأعم الأغلب، وفي بعض الثقافات الأخرى يكون اللون الداكن هو ما يرجح كفة الميزان، وتحديد لون البشرة الداكن في هذا المثل يعد دليلا على تقبل لون هذه البشرة وعدّه نصف الجمال، كما دعا إلى تقبل التنوع البشري، بل أكد ضرورته؛ ففي هذا التنوع يكمن التوازن، وعليه يحمل هذا المثل تقديرا للجمال بأنواعه، وتعزيزا للثقة بالذات، ويعزز فكرة التقبل والقناعة، ويدعو إلى التحرر من التركيز على مقاييس الجمال الجامدة لدى بعض الشعوب، وتجاوز المعايير التقليدية في بعض الثقافات، وتخطيها إلى مقاييس أكثر سعة ومرونة، وأعمق نظرة.

ومن الأمثال التي ركزت على معايير الجمال وتفاوتها، المثل القائل: "سمرة ونغشة ولا بيضا ودفشة" (قديح، 1995، صفحة 21). ويعود مورد هذا المثل إلى البيئة الفلسطينية، وهو شائع في الثقافة الفلسطينية وفي الذاكرة الشعبية (الماضي و شاهين ، 1984، صفحة 215)، والمثل يجري مقابلة ذات محورين: المحور الأول لون البشرة بين السمار والبياض، والمحور الثاني الطبيعة البشرية بين خفة الروح وغلظتها، وتتمحور دلالة المثل في تقدير خفي للمعايير الضيقة التي تفضل البشرة البيضاء.

وجاء المثل لينفي أن الجمال متمثل في البشرة البيضاء دون سواها، وركز على القيم الداخلية أكثر من المظاهر الخارجية، فخفة الروح الداخلية وطيبتها وطبيعة الإنسان الجميلة من الداخل تفوق الجمال الخارجي، وما نفع الجمال الخارجي للإنسان مع خلوه من القيم الإنسانية وجمال الروح؟

ويشير المثل إلى التباين بين البشر سواء في الشكل الخارجي أم في الصفات الأخلاقية والقيم الإنسانية، أي ما بين ما هو خُلقي وما خَلقي، ويدعو إلى قبول التباين والتوازن الذي يخلفه، كما يدعو إلى التركيز على الجوهر لا على القشور الخارجية.

والمثل عبارة عن صورة بصرية حسية من خلال الألوان والمظهر الخارجي، وصورة ذهنية عقلية من خلال الصفات الداخلية.

وكثيرة هي الأمثال التي ركزت على المعاني والمضامين السابقة، منها: "إن كنت وحشة كوني نغشة" (حسين، (د.ت)).

يحمل المثل رسالتين، الأولى الرضا بالنقص والقناعة بالموجودات، لا سيما تلك التي لا علاقة لنا بها، كالشكل والنسب واختيار الأبوين ومكان الخلق والمنشأ وغيرها، والتي هي من صنيع الله وحده عز وجل، أما الرسالة الثانية فهي دعوة إلى تعويض هذا النقص ضمن مقدور الإنسان ومحدودية قدرته كالتحلي بالأخلاق الحميدة والتزين بالقيم الإنسانية النبيلة، فيسبق جمال شكله جمال فعله ويملأ ثغرات النقص ويعوضها.

فالمثل يدعو الفتاة التي لا تتمتع بقدر كاف من الجمال: أولا بالرضا والقبول، وثانيا أن تتحلى بقدر كاف من خفة الظل وجمال الروح وطيب الأعمال، فإن كان شكلها ليس بيدها فتصرفاتها النبيلة التي تقربها من القلوب بيدها وهذا يعزز التفاعل الاجتماعي ويقوي من منظومة العلاقات البشرية.

ولجأ المثل إلى الثنائية الضدية بين قبح الشكل وجمال الروح؛ ليعزز من قيمة الرسالة وقوة تأثيرها، وتعويض النقص الكامن في الأولى في الثانية.

ويشير المثل إلى رسالة إلهية عظيمة وهي أن الكمال لله –عزّ وجل– فقط، وأنه يستحيل أن يكون هناك كمال بشري، وأن البشر كلهم سواء في عدمية الاكتمال وأن الكمال لله وحده.

ومن الأمثال التي تدور حول المحور نفسه، المثل القائل: "مش كل بيضا شحمة ولا كل سمرة فحمة" (قديح، 1995، صفحة 21).

تكمن دلالة المثل في الرسالة السامية التي يحملها ومفادها الكف عن إطلاق الأحكام السريعة والمعممة، والبعد عن التحيز والعنصرية، والتوقف عن الحكم على الفرد بناء على مظهره وشكله الخارجي، فليس كل ما هو أبيض هو جميل أو مفيد، وليس كل ما هو أسود هو قبيح أو ضار، ويدعو المثل إلى الكف عن الانخداع بالمظاهر الكاذبة، والتركيز على المظهر، والتمييز الجيد بين الجميل والقبيح، والحسن والسيئ.

ركزت الأمثال الشعبية على الأمور الحياتية المتعلقة بالجمال، وتباينت معايير الجمال فيها، وفقا لتباين تلك المعايير لدى الشعوب والثقافات، وربما تتباين أيضا لدى المجتمع الواحد، تبعا للعوامل التي ذكرناها سابقا، ففي حين يقر بعضهم أن الطول مظهر جمالي، يقر البعض الآخر بأنه ليس بالضرورة، والأهم من الشكل هو الثقافة العلمية والرزانة العقلية، فقال المثل: "زوج القصيرة بحسبها صغيرة، وزوج الطويلة بفكرها كبيرة" (السهلي، 2022، صفحة 122). ورد هذا المثل في الثقافة الفلسطينية والأردنية والشامية عامة (العداني، 1983، صفحة 220)، ويمكن تفسير المثل وفق منحنين متباينين؛ أن الفتاة القصيرة ربما تبدو أصغر بالعمر وتعود عليها صفة القصر بالفائدة، والفتاة الطويلة تبدو أكبر من عمرها وصفة الطول لا تعود عليها بفائدة جمالية، إذا اعتمدنا الصفات المادية المباشرة وتحديدا صفتي الكبر والصغر، أما إذا ذهبنا إلى منحنى الصفات الرمزية ولا سيما صفة القدر وعلو القيمة ورفعة الشأن، فربما كلمة صغيرة تعني أنها ليست على قدر كبير من القيمة، وأقل شأن، وليست صغيرة بالسن، وعكسها كلمة كبيرة يمكن أن تشير إلى كبيرة في القدر والقيمة وأعلى منزلة لا كبيرة في العمر.

ولجأ المثل إلى أسلوب التضاد بين طويلة وقصيرة، وبين صغيرة وكبيرة لتعزز فكرة المثل وتوضيح دلالاته التي تتجسد في تعميق اختلاف الثقافات، وتأكيد تأثير المعايير الاجتماعية، والأحكام المجتمعية على إطلاق الأحكام، وما يؤثر سلبا على العلاقات الاجتماعية الناشئة من المقارنات من غيرة وحسد وغيرهما. ويضرب المثل في القناعة والرضا والبحث عن التفسيرات الإيجابية لاتخاذ القرارات، وتبرير المواقف.

وللتأكيد على أن الطول ليس صفة مطلقة للجمال، وتتباين من ثقافة إلى أخرى حسب الأذواق والثقافات، المثل القائل: "الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة" (قديح، 1995، صفحة 21).

كثيرة هي الأمثال الشعبية التي حذرت من المضامين السابقة والمتعلقة بإطلاق الأحكام المتسرعة والمبنية على المظهر الخارجي، والتركيز على الجوهر، ومن تلك الأمثال: "من برّة وردة ومن جوه قردة" (قديح، 1995، صفحة 21).

يؤكد المثل أن كثيرا من الفتيات يظهرن جميلات من الخارج، ولكنها في الحقيقة ليست جميلة من الداخل، نستدل ذلك من خلال كلمة القردة التي ترمز إلى القبح والغباء، وربما التصرفات غير الحكيمة والسلوكات غير اللبقة، ظهر ذلك عن طريق اللجوء إلى الثنائية الضدية، والترميز، وأسلوب السخرية والتهكم، والخداع البصري بين الظن والحقيقة، وبين القبح والجمال، أو الذكاء والغباء، والتناقض بين الشكل الخارجي والأمور المادية، ومكنونات الإنسان الداخلية والأمور المعنوية غير الملموسة، أو ما بين يظهره ويكنه، إلا من خلال الاقتراب والتعامل المباشر والدعوة إلى الوعي، والتفكير المنطقي، والحذر، والتيقظ، والنقد البناء، ويتقاطع هذا المثل مع المثل القائل: "من برة هالله هالله، ومن جوا يعلم الله" والتفريق بين الجوهر والمظهر.

وفي الوقت نفسه، لا ينبغي التسرع في الحكم على الشخص من مظهره الخارجي، أو بمجرد النظر إليه من بعيد والاكتفاء بذلك، وفي هذا جور كبير، فلا يجوز إطلاق الأحكام على أشخاص من النظرة الأولى، أو من الانطباعات الأولية، دون سابق خبرة، أو تعامل مع أولئك الأشخاص، ولا يكون ذلك حقا، إلا من خلال التجربة، والتعامل المباشر وعن كثب مع المحكوم عليهم.

ينبغي للإنسان أن يخطط لأمور حياته كافة، وأخذ الاحتياطات اللازمة، وحساب مقادير تلك الأمور ودراستها جيدا؛ لعدم التورط لاحقا، ومن الأمثلة التي تدل على ذلك: "خذ المليح لتستريح" (قديح، 1995، صفحة 21).

استعمل المثل لفظ (مليح) والمليح هو الجميل في المعنى التراثي الشعبي، والجمال هنا معنى عام، والمقصود به كل ما هو جميل، ليس جمال الشكل فحسب، وإنما جمال القلب والروح والأخلاق والسلوك، وينبغي التفكر المنطقي، والتوجه الواعي نحو الاختيارات الصحيحة، وحصرها بكل ما هو جميل؛ لضمان الراحة الحياتية، فضرورة اختيار الزوجة المناسبة، أو الوظيفة المناسبة، أو القرارات الصائبة، أو الصديق الصدوق، أو المحيط الملائم، وكل ما له تأثير إيجابي، وكل ما يعزز الحياة الإيجابية، وديمومة ذلك؛ للوصول إلى حالة الرضا والراحة النفسية على مدى طويل، ولضمان حياة مستقرة، وتحقيق التوازن بين السبب، وهو الاختيارات الصحيحة، وبين النتيجة وهي تحقيق الراحة، حتى لا نتعثر في المستقبل، ولتجنب الشعور بالندم لاحقا.

واستئناسا بما سبق نجد أن الجمال هو وحدة العلاقات الشكلية التي يتم إدراكها عن طريق الحواس، ويتأثر الإحساس بالجمال بتغير الزمان والمكان، والإحساس بالجمال هو الأساس الذي يقوم عليه النشاط الفني (زكارنة، 1993، الصفحات 8-9).

تختلف طبيعة الجمال من متلق إلى آخر، فمنهم من يعد الجمال صفات عينية موضوعية مستقلة عن العقل الذي يدركها أي ذات طبيعة موضوعية نسبية، يتم تذوقها من قبل جميع الناس، في كل زمان ومكان. وأن الجمال مستقل بذاته وموجود خارج النفس، وهو ظاهرة موضوعية، وهذا يؤكد تحرر الجمال من القيود المتعلقة بمزاج الشخص ونفسيته، وأن جمال الأشياء مستقل عن العقل المدرك له، فالحكم على كل ما هو جميل بأنه جميل منقطع عن ذوق الأفراد المتذوقين له، وأن له أسسا، أو قوانين موضوعية خاصة.

ومنهم من يردها إلى العقل المدرك لها، أي ذات طبيعة ذاتية، ولا يتم تذوقها بنفس المقدار من جنس إلى آخر، أو من مكان إلى آخر، أو من عصر إلى آخر، وربما يختلف باختلاف الأفراد في المكان الواحد، وفي العصر الواحد (الطويل، أسس الفلسفة، ط3، 1958، الصفحات 388-389).

مرد تلك الطبيعة إلى الخيال، والفكر الحر، فمصدر الشعور بالجمال هو داخلي كامن في الطبيعة البشرية، وليس في الأشياء الخارجية، ولا يوجد جمال مستقل في الأشياء أو في الطبيعة الخارجية، فالحكم على

الجمال يعود إلى طريقة تصوره، وما هو إلا حالة نفسية ذاتية، فكل يرى بعين طبعه، فهو انعكاس للجمال الذهني لدى الفرد المتصل بفكره ونظرته للأشياء، وحكمه عليها بالجمال أو القبح (بغالية، (د.ت)، صفحة 76).

ليست طبيعة الجمال موضوعية خالصة ولا ذاتية خالصة، بل هي مزيج بين الذاتية والموضوعية، أي مزيج ما بين اللذة والإدراك.

المبحث الثاني: تقويم الجمال وتجلياته في المثل الشعبي الفلسطيني

تتعدد مقاييس تقدير الجمال للتمييز بين القبح والجمال بسبب طبيعة الجمال نفسها، ووقفا لما سبق، فمن المذاهب ما يردّ المقاييس إلى النظرية العقلية أي إلى حكم عقلي، ويخضع الجمال إلى قواعد وقوانين، ويطلق أحكاما واقعية، مسلحا بالفكر والإرادة الإنسانية، وليس مجرد خيال أو إلهام، وبعيدا عن القوى الغيبية (عبده، 1999، صفحة 52).

بالغت النظرية العقلية في التركيز على أهمية العقل، لدرجة أنهم عدوا العقل هو مصدر الإبداع، وأهملت عنصر الأداء والحواس والمادة في عملية الإبداع، كما أنها أغفلت تأصيل الأفكار الإبداعية إن كانت كامنة في العقل الباطن، أو مكتسبة من العالم الخارجي عن طريق الحواس، أو مزيجا ما بين الاثنين (بشيوة، 2013، صفحة 87).

وهناك أمثال شعبية فلسطينية أكدت ضرورة العقل وفق مقياس الجمال، المثل القائل: "العقل زينة والي بلاه حزينة" (قديح، 1995، صفحة 21)، ويرد المثل في الثقافة وفي العديد من البلاد العربية، ويندرج تحت بند الحكم الشعبية المتناقلة شفاهيا (السهلي، 2022، صفحة 128، رقم المثل: 3233).

ويؤكد المثل من خلال دلالته أن الجمال ليس بالشكل الخارجي، وإنما بالعقل، والعقل هو زينة المرأة وجمالها، ومن لا تمتلك عقلا مفكرا وفكرا متعقلا ستكون مصابة بالحزن، فربط قلة العقل بالحزن، وربط الجمال بالعقل، أي بالجوهر لا بالمنظر، وهنا تأكيد أهمية الجمال العقلي مقابل الجمال المادي والمظهر الخارجي، فالتميز يكون بقوة الفكر لا بجمال الشكل، ولا نلغي دور جمال الشكل، إلا أنه لا فائدة منه إذا كان منقوصا من جمال العقل، ولا ضير من جمال الشكل طالما يزينه جمال العقل.

ومنهم من يرده إلى النظرية العاطفية، أي إلى حكم عاطفي وجداني نابع من الحدس، ورفض وضع قواعد وقوانين لذلك (الطويل، أسس الفلسفة، ط3، 1958، صفحة 368).

والصواب المزج بين العقل والعاطفة، فالإحساس بالجمال وتقديره والحكم عليه وتمييزه عن القبح يحتاج إلى العقل والوجدان معا، وينتج عن دمج ذلك ما يسمى بالعبقرية، وهي مذهب ثالث في تقويم الجمال، شريطة التمييز بين العبقرية والجنون؛ ولهذا ينبغي معرفة مصادر العبقرية التي تتمثل في الإلهام من جهة، واللاوعي الجمعي من جهة أخرى.

ينبه المثل الشعبي دوما بالإحساس بقيمة الجمال بكل أشكاله من جمال الطبيعة، وجمال البشر، وجمال المظهر، والجمال الداخلي، وجمال الروح، وجمال السلوك، وكل ما يتعلق بكل ما هو جميل، وكثيرة هي الأمثال التي تناولت موضوع الجمال وتحدثت عنه، وهذا يدل على أهميته الكبرى؛ لأنه قيمة إنسانية عليا، ومن تلك الأمثلة: "وجهك ولا وجه القمر" (حسونة، 2002، صفحة 226).

ومن الأمثال الشعبية التي أشارت إلى موضوع الجمال الرباني المتمثل في البشر، جمال متعلق بأعضاء الجسم الحسية كالفم مثلا، ومن الأمثلة التي تشير إلى ذلك: "ثم زي خاتم سليمان". ومورد هذا المثل يعود إلى التراث الديني، وفي التقاليد اليهودية والمسيحية اليهودية، وفي الأساطير، وفي التراث الشعبي، ويرمز للسحر والسلطة الحكيمة (هول، صفحة 297).

واتخذ الفم في المثل الشكل الخارجي وبالتحديد الشكل الدائري الذي يشبه الخاتم، ولكن ليس أي خاتم، وإنما خاتم الملك سليمان رمز القوة والقدرة، وهذا الاختصاص الذي فيه اقتران الخاتم بالملك سليمان يضفي دلالات أخرى، وجماليات جديدة، وملامح جمالية إضافية إلى المثل، لما لهذا الرمز من ثبوت وجودي في القصص الشعبية والأساطير، وهو رمز للقوة السحرية، والقدرة الخارقة على تحدي الصعوبات، ومواجهة العقبات.

ومن الأمثال الشعبية التي تدل على حلاوة اللسان، وجمال الكلام، المثل القائل: "لسانه بنقط عسل" (حسونة، 2002، صفحة 250).

فاللسان رمز للقدرة على الكلام وتنميقه، والبراعة في التأثير في المتلقي، ويعني العسل الكلمات المنمقة، والعبارات المزخرفة، ذات الوقع التأثيري على المتلقي، بغض النظر عن صدق النوايا، والأهداف المقصودة، والمآرب الشخصية، وربما يحمل المثل طابعا تناقضيا بين المظهر الخارجي المتمثل بجمال الكلام، وأثره السحري، والجمال الداخلي المتمثل بالنية، ويحمل المثل صيغة تحذيرية مفادها أخذ الحيطة من الكلام المعسول، والحذر من الوقوع في شباكه، والحرص على عدم الانخداع بالمظاهر الخارجية، والانبهار بها، واتباع العاطفة دون تحكيم العقل.

ومن الأمثال الشعبية التي تحمل المعنى السابق، المثل القائل: "حلو اللسان قليل الإحسان" (حسونة، 2002، صفحة 249).

ويشير المثل إلى فكرة التناقض بين الأقوال والأفعال، فكثير ما نجد أناسا ماهرين في تنميق الكلام وفي تزويق العبارات، قادرين على الإقناع، ولكن أفعالهم تناقض أقوالهم، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون، وهذا يعد شعبة من شعب النفاق، وملة من ملل خداع المتلقي، من خلال تزييف الكلام.

فالحق أن تطابق الأقوال الأفعال دون الفصل بينهما، من خلال تحقيق عملية التوازن، فالصدق في الأقوال ومطابقتها للأفعال يعد من القيم العظيمة، وتقييم الأشخاص يكون من خلال التحقق من أفعالهم وليس الركون إلى أقوالهم.

ومن مواطن الجمال المتمثل في الصور الذهنية المكتملة من خلال اللوحة البصرية والتدبيج، المثل القائل: "عيون زرق وأسنان فرق" (حسونة، 2002، صفحة 252).

يمكن أن نعد الصفات السابقة، وهي: العيون الزرقاء والأسنان المفروقة، من صفات الجمال؛ فالزرقة رمزية جمالية تضفى على العيون.

ويمكن أن يشير المثل إلى التناقض بين الشكل الخارجي والداخلي، فقد يكون الداخل فارغا من القيم أو الجمال أو الجوهر، بمعنى آخر الشكل جميل أما المضمون فعكس ذلك، وأن اكتمال المظهر لا يلغي النقص في الجوهر ولا يسد مكانه، ولا يملأ ثغراته، من خلال التضاد البصري بين جمال العيون وقبح الأسنان.

ومما لا شك فيه أن للعين حضورا بارزا في الفكر القديم، ومن أشهر تلك الأساطير أسطورة عين حورس الثالثة وهي أسطورة فرعونية، والتي وحدت بين العين اليمنى التي ترمز إلى الشمس، والعين اليسرى التي ترمز إلى القمر، كما ترمز إلى عملية التوازن بين القوى المتناقضة، كالموازنة بين الماديات والروحانيات، أو بين القوى الظاهرة والخفية اللازمة لاستمرار الحياة (كلارك، 1988، صفحة 214).

ومن الأمثال الشعبية التي تحمل معنى الجمال المادي الخالص، المثل القائل: "زي عنق العزال". يشير المثل إلى بعض مظاهر الجمال الطبيعي، طول العنق، الذي يشير إلى الرقة والرشاقة والجمال الأنثوي، من خلال ربط العنق وتشبيهه بعنق الغزال، وهذا بدوره يعزز الإحساس بالجمال الطبيعي الخالص دون اللجوء إلى عمليات التجميل والتزويق.

وقد كان للغزال حضور في الفكر القديم، وثبتت قدسية هذا الحيوان في الأساطير القديمة، وارتبط اسمه بالشمس، وبالمرأة، ويعد ثالوث الغزالة والشمس والمرأة من الرموز الدينية المقدسة.

وشغل مساحة كبرى وبعدا عميقا في حياة العرب قديما، وارتبط اسمه بالرمز الديني المقدس قرن الشمس وهو أيضا رمز من رموز الأم الكبرى.

وبلغت قدسية الغزال إلى أن العرب قديما صنعوا له التماثيل، ووضعوه في محاريبهم، ودور عبادتهم؛ للزيادة من قدسيتها (زكي، 1979، صفحة 83).

تحدث المثل عن القبح، ومن تلك الأمثال الشعبية: "شو تعمل الماشطة بالوجه العكر" (حسونة، 2002، صفحة 228).

يشير المثل إلى الشكل الحقيقي الذي لا يمكن أن يتغير عن طريق الجمال الاصطناعي، فمهما بلغت من جهد لن تحول الوجه الجميل إلى وجه قبيح، وربما يتخطى المثل هذا المعنى الضيق إلى معنى أعمق، هو تحسين الجوهر أو العيوب الأساسية، فلا فائدة من تحسين المظهر إذا كان الجوهر سيئا، أو إذا كان الأساس منهارا، فالأجدر والأولى تحسين وإصلاح الأساس أولا، والرسالة هي التركيز على الأمور الجوهرية، بدلا من هدر الطاقة على الأمور السطحية، واتبع المثل أسلوب التضاد بين كلمتي الماشطة التي تدل على الجمال وتبرزه، وبين الوجه العكر الذي يدل على القبح.

يتقاطع هذا المثل في بعض جوانبه مع المثل القائل: " لا يصلح العطار ما أفسده الزمن"، وهنا إشارة واضحة إضافة إلى ما سبق أن الزمن له حقه، وأنه لا يمكننا أن نوقف الزمن، ودعا إلى الرضا وعدم المحاولات في إيجاد حلول أو طرق لطمس ما عبر عنه الزمن الممتد، وما يزول عبر الزمن لن يعود، وما يفسد لن يصلح.

استئناسا بما سبق، نجد أن الأمثال الشعبية قد حملت في طياتها الثنائية الضدية في موضوع الجمال والقبح، وهذا يؤكد أن المثل الشعبي وليد البيئة، وخليق البشر، وصنيع المواقف والتجارب، ونتاج الواقع، وحوادث الدهر، وأحداث الزمن، والمعاملات ومنظومة العلاقات المجتمعية، والقضايا الاجتماعية، فالمثل الشعبي – بلا شك– يكوّن ملامح الهوية الإنسانية ويعكس قيمها العليا، وهو في مكانة الأعراف المقدسة والقوانين الوضعية والكلام الفصل؛ لما يحمله من تناقض وثنائيات، فمن الأمثال ما يحمل معنى الجمال الخالص سواء الشكلي أو المعنوي، ومنها ما يحمل معنى القبح الخالص، سواء كان قبح الشكل أو الفعل أو الصفات، ومنها ما يدمج ما بين الثنائيتين.

وهذا يؤصل تناقض البشر في الجمال والقبح، ويؤكد أن المثل الذي جاء باللغة العامية المحكية قد أصاب كبد الحقيقة، وسدد الهدف، وعالج قضايا وقيما تهم البشر وتمسهم.

أما نظرية الإلهام أو الوحي فهي تخص الجمال في مجال الإبداع الفني البشري لا في مجال الإبداع الرباني في البشر، والذي يرد مصدر العبقرية إلى الإلهام، أو الحدس، أي أن الطبيعة البشرية مجهزة لتلقي الإلهام

الذي يجتاح صاحبه فجأة دون مقدمات، وتلك الطبيعة مدججة بقوى خارقة، أو وحي سماوي، أو خيالات سحرية، أو شياطين خفية قادرة على الإبداع الفني، ومرجع تلك القوى هو شعور مفاجئ لا يعتمد على تفكير عقلي مسبق، أو إرادة إنسانية، أو تجربة حسية، فعملية الإبداع الفني مرجعها الفطرة وحالات التجلي التي تجتاحها، بعيدا عن التجارب الحسية، والدراسات العقلية، ودون إدراك مصدر هذا الإلهام (الطويل، 1958، صفحة 396).

وفي التراث القديم تصوير للخلق الفني أنه عملية فطرية يفقد الإنسان فيها سيطرته على نفسه (ستولنتير، (د.ت)، صفحة 134)، وأن لعملية الخلق الفني ربات، ففي الأسطورة اليونانية التي تروي أن كبير الآلهة زيوس المتربع على جبل الأولمب له تسع بنات يمثلن ربات للفنون، وكل واحدة منهم مختصة بفن معين؛ أي ربة له (محمد، 1985، صفحة 42).

وأما نظرية اللاشعور الفردي أو مذهب التحليل النفسي، فيرد عملية الإبداع إلى مكنونات اللاوعي المكبوتة المتمثلة في النزعات الشريرة، التي تخالف العادات، وتقاليد المجتمع، أو التي تقوم بدور الرقيب، الذي يمنع ظهور تلك المكنونات المكبوتة في اللاشعور، وتظهر في عملية الإبداع المشروع وعليه تصبه عملية الإبداع مصدرا لتنفيذ تلك الرغبات المكبوتة (إبراهيم ، 2009، صفحة 174؛ مصطفى، (د.ت)، صفحة 4).

وبعد، لعل هذا اللون الأدبي من أجمل ألوان الأدب الشعبي والرسمي على حد سواء؛ نظرا لسهولة حفظه، وذيوع انتشاره؛ لما اتسم به من سمات جمالية، وهو حاضر في كل زمان ومكان، يستعمله الصغار قبل الكبار، فهو حي لا يموت، استمر بالتوارث، والحضور. وعلى الرغم من قدمه، وطول عمره بقي للناس كافة، وللأزمان كلها، فهو ليس حكرا على زمن معين، ولا على جيل معين، صالح لكل زمان ومكان، ولكل الأجيال، وفي المواقف كلها حاضر بقوة.

الخاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة توجيه الضوء على القيم الإنسانية الكامنة في الموروث الشعبي الفلسطيني، عبر دراسة الأمثال الشعبية بوصفها حاضنة حقيقية تعكس وجدان المجتمع ونظرته إلى تلك القيم.

كما أن المثل الشعبي الفلسطيني ليس مجرد قول عابر، بل هو وعاء ثقافي وأخلاقي يعزز منظومة القيم، ويوجه السلوك الجمعي نحو ما يخدم التماسك الاجتماعي والتكافل الإنساني، من هنا تتجلى أهمية الحفاظ على هذا الموروث، وتوظيفه في ترسيخ القيم الإيجابية لدى الأجيال القادمة، لا سيّما في ظل ما يواجهه المجتمع من تحديات ثقافية واجتماعية.

وعليه، فإن الأمثال الشعبية تمثل مخزونا غنيا من حكمة الأجداد التي يمكن استثمارها؛ لتعزيز القيم الإنسانية، وترسيخها في الوعي الجمعي الفلسطيني.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة، أهمها:

أولا: تشارك وتشابه الأمثال العربية، لا سيما بلاد الشام، فالمثل الشعبي واحد في معظم البلاد العربية، عدا اختلاف كلمة أو كلمتين، ولكن المضمون واحد، وهذا الموروث الشعبي المشترك يدل على وحدة الأمة العربية وتماسكها سابقا، كمان أن هناك أقوال جرت مجرى الأمثال كبعض الآيات القرآنية الشريفة، والأحاديث النبوية، والحكم، والشعر.

ثانيا: المثل الشعبي ضمير الأمة يحمل قيما إنسانية خالدة. ويشكل رافعة فنية لتلك القيم.

ثالثا: ترتبط القيم الإنسانية للفرد والمجتمع بجوهر الإنسان، وما يميزه عن باقي المخلوقات، فالإنسان أوتي الإنسانية بالفطرة، ليوازن بين ضرورة الدفاع عن نفسه، والحفاظ على وجوده. وأن هذه القيم حاضرة لدى الإنسان القديم والمجتمعات البدائية، فهي بذلك مشترك كوني بين الشعوب.

رابعا: القيم الإنسانية تتأثر بالأفراد والجماعات، كما تتأثر بالزمان والمكان، وتختلف باختلاف الثقافات، فهناك قيم إنسانية بقيت خالدة ودائمة وضرورية، وهناك قيم تغيرت دلالتها أو قلت أهميتها، وبعضها بدأ بالتلاشي.

خامسا: تداخل القيم الثلاث وتشابكها.

سادسا: الكون كله قائم على الثنائيات الضدية.

سابعا: ديمومة الصراع بين تلك الثنائيات، فالصراع بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين القبح والجمال باق إلى يوم القيامة.

ثامنا: دور إنسانية الإنسان، وقيمه الإنسانية العليا في نصره لقيم الحق والخير والجمال.

تاسعا: تأكيد العلاقة العضوية التكاملية للقيم الإنسانية العليا في النماذج البدئية، والمثل الشعبي الفلسطيني.

عاشرا: الأساطير كنماذج بدئية لها دور بارز في توجيه القيم الإنسانية.

وأخيرا هناك أساطير مشتركة ساهمت في تشكيل الموروث القيمي في الفكر الإنساني، والمشترك الكوني.

وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فقد توصلت إلى توصيات عدة نابعة من الحاجة إلى تفعيل دور المثل الشعبي الفلسطيني في تعزيز القيم الإنسانية في المجتمع، وذلك من خلال توثيقه ودراسته أكاديميًا بوصفه جزءًا أصيلًا من الموروث الثقافي.

ودمج الأمثال ذات المضامين الأخلاقية في المناهج التعليمية والأنشطة التربوية؛ لما لها من أثر تربوي مباشر، وتوظيفها في الخطاب الإعلامي والثقافي المعاصر لتقريب الرسائل القيمية من المتلقي.

وتحث الدراسة أيضًا إلى تشجيع الدراسات التي تتناول الأدب الشعبي في ضوء المتغيرات الاجتماعية الراهنة، إضافة إلى استخدام الأمثال كوسيلة تربوية فعالة لتعزيز الحوار بين الأجيال.

كما أن إعادة قراءة الأمثال الشعبية بما ينسجم مع الواقع المعاصر من شأنه أن يحافظ على أصالتها من جهة، ويجعلها أداة حية وفاعلة في تنمية الوعي القيمي من جهة أخرى.

وأخيرا دراسة النماذج البدئية للقيم في الحكاية الشعبية، والأغنية الشعبية، والزجل الشعبي الفلسطيني.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم.

إنجيل متى.

المراجع العربية:

إبراهيم، زكريا. (2009). *مشكلة الفن*. دار مصر للطباعة.

إبراهيم، زكريا. (د.ت). *المشكلة الخلقية*. دار مصر للطباعة.

أحمد، محمد عبد القادر. (1979). *دراسات في التراث العربي، ط1*. مكتبة الأنجلو المصرية.

أديب، سمير. (2000). *موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط1*. مصر، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

الأسدي، نجم الدين. (2004). *منارات السائرين إلى حضرة الله جل جلاله ومقامات الطائرين، تح: عاصم الكيالي، ط1*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

أسود، نزار. (2006). *حكايات الأمثال الشعبية، ط1*. جامعة ميتشيغان.

أفلاطون. (بلا تاريخ). *أفلاطون، الجمهورية، تر: حنا خباز*. دار الأندلس.

الألباني، محمد ناصر الدين. (1988). *صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، ط3*. بيروت: المكتب الاسلامي.

أمين، أحمد. (1931). *الأخلاق، ط3*. القاهرة، مصر: دار الكتب المصرية.

أمين، عثمان. (1945). *الفلسفة الرواقية*. القاهرة، مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة الخانجي.

أيبش، أحمد. (2006). *التلمود كتاب اليهود المقدس، .* دمشق: دار قتيبة.

باشل، أحمد تيمور. (1956). *الأمثال العامية، ط2، مطبعة الدار الكتاب العربي، مصر*. مصر: مطبعة الدار الكتاب العربي.

باقر، طه. (1971). *ملحمة كلكامش، ط2*. مديرية الثقافة العامة.

بدوي، عبد الرحمن. (1975). *الأخلاق النظرية، ط2*. الكويت: وكالة المطبوعات.

برجاوي، عبد الرؤوف. (د.ت). *فصول في علم الجمال*.

بريستيد، جيمس هنري. (د.ت). *فجر الضمير*.

بسيوني، محمد عبد الحميد. (1997). *آداب السلوك عند المصريين القدماء*. مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتب.

بشيوة، كريمة محمد. (2013). النظريات المفسرة للإبداع الفني. *المجلة الجامعة، العدد الخامس عشر، المجلد الثاني*.

بغالية، هاجر. ((د.ت)). *محاضرات في علم الجمال، المحاضرة الثامنة*.

بوتيرو، جان. (1994). *بابل والكتاب المقدس محاورات مع إيلين مورسا كريه، ط1، تر: روز مخلوف*. دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع.

البوعينين، آمنة ارحمة. (2021). ما ضاع حق وراه مطالب. *مجلة العرب*.

بيري، ديفيد. (1986). *الحياة اليومية في روما القديمة، تر: عبد العزيز توفيق جاويش، ط1*،. دار الفكر.

بيري، رالف بارتن. (1961). *إنسانية الإنسان*. بيروت –نيويورك: مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر.

بيري، رالف بارتن. (2011). *آفاق القيمة، تر: عبد المحسن عاطف سلام*. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جاب الله، عبد الفتاح. (2023). مفهوم قيمة الصدق وتطوره في الأنساق المنطقية المعاصرة. *مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، العدد الرابع والعشرون*.

الجابري، محمد عابد. (1991). *التراث والحداثة*. مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد. (2009). *تكوين العقل البشري، ط10*. الحمراء –بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

جبر، محمد. (2010). *المثل الشعبي الفلسطيني*. دار المعارف الفلسطينية.

جزاع، طه. (بلا تاريخ). فلسفة الأخلاق عند الرواقيين. *مجلة كلية الآداب، العدد/54، جامعة بغداد*.

جمال الدين، دانية يوسف. (2015). *جمال الدين، نادية يوسف: فلسفة التربية عند موسى بن ميمون (دراسة تحليلية)*. جامعة القاهرة، كلية الدراسات العليا، دار المنظومة.

الجمزاوي، نهلة. (2021). *فلسفة الأخلاق (مفهومها – تاريخها – تطورها)، ط1*. عمان، الأردن: سلسلة فلسفة الشباب، وزارة الثقافة.

الجنيدل، سعد بن عبد الله. (1986). *التراث الشعبي*. الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

جيمس، وليم. (2014). *البراجماتية، ط1، ترجمة وليد شحادة*. دمشق، سورية: دار الفرقد.

حسن، عبد الحليم محمد. (د.ت). *تاريخ الإمبراطورية الرومانية وحضارتها*.

حسونة، خليل إبراهيم. (2002). *المثل العربي الشعبي الفلسطيني، ط1*. غزة، فلسطين: نقلا عن النويري، أحمد: من تراث الشعب، ط1، ص47.

حسين، شادن محمد. (د.ت). صورة المرأة في المثل الشعبي الفلسطيني. *مجلة الثقافة الشعبية، العدد25*.

الحمداني، شعيب أحمد. (1970). *قانون حمورابي*.

حنفي، رانيا. (2014). قيمة العدل. *مجلة الأهرام*.

حنون، نائل. (2006). *ملحمة جلجامش، ط1*. دمشق، سورية: دار الخريف للنشر والتوزيع.

خبيزة، محمد يعقوبي. (2001). دور البصيرة في المعرفة عند الإمام الغزالي. *مجلة الإحياء، العدد 17، مطبعة المعارف الجديدة*.

خورشيد، فاروق. (1992). *الموروث الشعبي، ط1*. القاهرة: دار الشروق.

دت، نيخار. (1994). *الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، تر: هاشم حمادي، ط1*. دمشق، سورية: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

دروزة، محمد عزة. (د.ت). *الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل وأخلاقه*.

دريني، خشبة. (1983). *أساطير الحب والجمال عند اليونان، ط1*. بيروت، لبنان: دار أبعاد للنشر والتزيع.

دوز، كريمر. (2016). *الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية – دراسة وصفية تحليلية، ط1*. مصر: دار الكاتب للنشر والتوزيع، الإسماعيلية.

الديك، إحسان. (2023). *الموروث الشعبي الفلسطيني قراءة في أصوله الأولى، ط1*. نابلس، فلسطين: دار الشامل للنشر والتوزيع.

ديكارت، رينيه. (1985). *مقال عن المنهج، ط، ترجمة: محمود المغضيري*. الهيئة المصرية العامة للكتب.

ديليتش، فريدريك. (1987). *بابل والكتاب المقدس، تر: إيرينا داود، ط1*. دمشق: دار العربي للنشر والطباعة والتوزيع.

ديورانت، ول وايريل. (د.ت). *قصة الحضارة*. بيروت –لبنان: دار الجيل.

ربيع، وليد. (د.ت). دراسة المجتمع الفلسطيني من خلال أمثاله الشعبية. *مجلة التراث والمجتمع، م1، العدد الأول*.

رفعت، سعد. (2011). *الموسوعة العربية للأساطير الشعبية، ط1*. القاهرة، مصر: دار اليقين للنشر والتوزيع.

روبرتس، أليسزون. (2015). *إشراقة حتحور الأم الكونية في مصر القديمة، تر: صفاء محمد*.

رولز، جون. (2019). *محاضرات في تاريخ فلسفة الأخلاق، تر: ربيع وهبة، ط1*. بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات.

ريد، هربرت. (د.ت). *معنى الفن*.

الريسي، زياد. (2022). الصدق منزلته ومراتبه وفضائله. *مجلة الخطباء*.

زكارنة، هديل بسام. (1993). *المدخل في علم الجمال*. عمان، الأردن: المكتبة الوطنية.

زكي، أحمد كمال. (1979). *الأساطير: دراسة حضارية مقارنة، ط2*. بيروت، لبنان: دار العودة.

ساكز، هاري. (1984). *قوة آشور، تر: عامر سليمان*. لندن –بغداد 1999.

ستولنتير، جيروم. (د.ت). *النقد الفني، دراسة جمالية فلسفية، تر: فؤاد زكريا*. الهيئة المصرية للكتاب.

ستيس، ول. (2013). *الزمان والأزل في فلسفة الدين، تر: زكريا إبراهيم*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ستيس، ول. (بلا تاريخ). *الزمان والأزل في فلسفة الدين*.

سدجويك، هنري. (1949). *المجمل في تاريخ علم الأخلاق، تر: توفيق الطويل*. مصر: دار نشر الثقافة، الإسكندرية.

سعيد، صفوان سامي. (2008). حقوق الرعايا في المملكة الآشورية في عصرها الحديث (911–612 ق.م). *مجلة آداف الرافدين، ع 51*.

سعيد، صفوان سامي. (د.ت). *القيم الأخلاقية عند الآشوريين*. كلية الآثار، قسم النقوش واللغات العراقية القديمة.

سفر التثنية. (بلا تاريخ).

سفر التكوين. (بلا تاريخ). *سفر التكوين*.

سفر الخروج. (بلا تاريخ).

السقاف، علوي عبد القادر. (د.ت). *موسوعة الأخلاق والسلوك*. الدرر السنية.

سلامة، أمين. (1988). *الأساطير اليونانية والرومانية*.

سلامة، أمين. (2021). *الأساطير اليونانية والرومانية*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

سليم، حسن. (1990). *الأدب المصري القديم (القصص والحكم والتأملات والرسائل)، ج1، ط2*.

سليمان، عامر. (1979). *الكتابة المسمارية والحرف العربي*. الموصل، العراق.

سمار، سعد عبود وكريم، خلود حبيب. (بلا تاريخ). دويلة المدينة اليونانية (نشأتها وتطورها) إسبارطة أنموذجا. *مجلة كلية الآداب، العدد الثامن والعشرون*، صفحة 227.

السهلي، توفيق. (2022). *موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية*. مؤسسة هنداوي.

السواح، فراس. (1988). *مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة – سوريا وبلاد الرافدين، ط11*. دمشق، سوريا: جار مكتبة الفكر الجديد.

السواح، فراس. (2002). *دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4*. سورية، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة.

السواح، فراس. (2002). *لغز عشتار، ط8*. سورية، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع.

سيمبسون، وليام كيلي. (1997). *أدب مصر القديمة، تر: سليم حسن، ط1*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشامي، عبد العزيز مصطفى. (2017). فضائل الصدق ومراتبه. *مجلة البيان*.

شحاتة، عبد السميع محمود وزهرة، أمية علي. (بلا تاريخ). فضيلة الأمانة في المجتمع اليوناني، قراءة في تاريخ هيرودوتوس، *كلية الآداب، جامعة المنوفية*، صفحة 2259.

شعراوي، عبد المعطي. (1982). *أساطير إغريقية*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب.

شعراوي، عبد المعطي. (1995). *أساطير إغريقية*. مكتبة الأنجلو المصرية.

الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). *الخير والشر*.

صادق، محمد عبد الرحمن. (2017). أسرار المجالس وأماناتها. *مجلة الألوكة الشرعية*.

صالح، عبد العزيز. (1998). *تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط2.* القاهرة، مصر: دار النهضة العربية.

الصباح، حصة الحمود. (2017). الصدق تاج القيم الأخلاقية. *مجلة الوطن.*

صبري، محمد. (2011). *التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، ط1.* القاهرة: مطبعة مادبولي.

صليبا، لويس. (2014). القيم الإنسانية في الكتاب المقدس. *مجلة بيبليون.*

الضبي، المفضل. (هـ1300). *أمثال العرب، ط1.* القسطنطينية: مطبعة الجوائب.

طاهر، جمال وطاهر، داليا جمال. (د.ت). *موسوعة الأمثال الشعبية.*

الطلال، مؤيد جواد. (د.ت). *الأسطورة في تشكيل الأفكار.* المنظومة، وزارة الثقافة.

الطويل، توفيق. (1953). *مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، ط1.* القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الطويل، توفيق. (1958). *أسس الفلسفة، ط3.* القاهرة، مصر: مكتبة النهضة المصرية.

عبد الحليم، أمل مبروك. (د.ت). مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة. *مجلة كلية الآداب، العدد100.*

عبد الحميد، محمد السيد. (د.ت). الأخلاق في بلاد النهرين. *المجلة العلمية للاتحاد العام للآثاريين العرب.*

عبد الرحمن، هاشم يونس. (1987). *المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الإسلام وعصر الرسالة.* ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل.

عبد الناصر، ميرفت. (2007). *اللوتس حكاية زهرة تحتضن الوجود.* نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد النور، جبور. (1984). *المعجم الأدبي، ط1،.* دار العلم للملايين.

عبده، مصطفى. (1999). *فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني، ط 2.* مصر، القاهرة: مكتبة مدبولي.

العثيمين، محمد بن صالح. (د.ت). *شرح رياض الصالحين، ط18.* السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

العداني، محمد. (1983). *معجم الأمثال الفلسطينية، ط3.* بيروت، لبنان: مكتبة لبنان.

عرابي، رجا عبد الحميد. (2006). *سفر التاريخ اليهودي، ط2.* دمشق، سوريا: مكتبة الأوائل.

عزاوي، ضياء. (1975). *كيف نعيد قراءة التراث قراءة معاصرة.* المنظومة، وزارة الثقافة.

علي، رمضان عبده. (2002). *تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ط 2، ج 1 إيران – العراق.* القاهرة: دار نهضة الشرق.

علي، غيظان السيد. (2021). معاثر المنهج الديكارتي من البداهة والوضوح إلى التلفيق بين العقلي واللاهوتي. *مجلة الاستغراب*.

العنتيل، فوزي. (1965). *الفولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي.* القاهرة، مصر: دار المعارف.

عوض، لويس. (2009). *أسطورة بروميثيوس، ترجمة جمال الجزيري وآخرون، ط2.* القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

عويضة، محمد كامل. (1993). *ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، ط1.* بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الغزالي، أبو حامد. (2011). *إحياء علوم الدين، ط1.* جدة، المملكة العربية السعودية: دار المنهاج.

الغزالي، محمد. (1987). *خلق المسلم، ط1.* القاهرة، مصر: دار الريان للتراث.

غلاب، محمد. (1933). *الأخلاق النظرية*. مصر ، القاهرة: المطبة الأهلية المصرية.

الغيظاني، جمال. (1997). *منتهى الطلب إلى تراث العرب دراسات في التراث، ط1*. القاهرة: دار الشروق.

فتاح، عرفان عبد الحميد. (1997). *اليهودية علرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ط1*. عمان، الأردن: دار عمار.

فرانكفورت، هنري. (1980). *ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى، ط2، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا*. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

فرجيل. (1978). *الإنياذة، تر: عنبرة سلام الخالدي، ط2، .* بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

فريحة، أنيس. (1980). *ملاحم وأساطير من أوجاريت (رأس الشمرا)*. بيروت، لبنان: دار النهار للنشر.

أبو الفضل، الميداني. (1310ه). *مجمع اللأمثال، ج1*. المطبعة الخيرية.

فوزي، مكاوي. (1980). *تاريخ العالم الإريقي وحضارته، ط1*. الدار البيضاء، المغرب: دار الرشاد الحديثة.

قديح، فوزي. (1995). *الأمثال الشعبية الفلسطينة*. دمشق، سورية: دار علاء الدين.

قربان، ملحم. (1982). *قضايا الفكر السياسي–الحقوق الطبيعية، ط1*. بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

القمني، سيد. (2020). *الأسطورة والتراث*. مؤسسة هنداوي.

قنبر ، محمود. (1983). *مع التراث العربي الإسلامي في نشأته وتطوره وإحيائه دراسة تحليلية*. جامعة قطر.

قنصوه، صلاح. (1986). *نظرية القيمة في الفكر المعاصر*. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

ابن القيم، حمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1996). *مدارج السالكين، ط3، .* بيروت: دار الكتاب العربي.

كاتلين، جورج. (1987). *الأساطير اليونانية والرومانية، تر: عبد المعين الملوحي، ط1.* دمشق، سوريا: دار الفكر العربي.

كامبل، جوزيف. (2005). *البطل بألف وجه، تر: فؤاد كامل، ط1 .* مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كامو، ألبير. (بلا تاريخ). *أسطورة سيزيف، تر: أنيس زكي حسن، .* بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة للنشر.

الكتاب المقدس. (بلا تاريخ). تر: سميث – فان ديك.

كرم، يوسف. (2014). *تاريخ الفلسفة اليونانية.* مؤسسة هنداوي.

كرم، يوسف. (د.ت). *تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للنشر والترجمة.* جمهورية مصر العربية.

كريسون، أندريه. (1979). *المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، تر: عبد الحليم محمود.* القاهرة: دار الشعب.

كريمر، صمويل. (د.ت). *من ألواح سومر، تر: طه باقر.* مكتبة المثنى، بغداد، ودار الخانجي، القاهرة.

كلارك، رندل. (1988). *الرمز والأسطورة في مصر القديمة، تر: أحمد صليحة.* مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب.

كمال، محرم. (1998). *الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ط2.* مصر: الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية.

كناعنة، شريف. (2011). *دراسات في الثقلفة والتراث والهوية.* رام الله، فلسطين: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقؤاطية.

كيتو، ه د. (1962). *الإريق، تر: عبد الرازق بسري وآخرون*. دار الفكر العربي.

لاحق، محمد أحمد. (2022). الخطوات المثالية لزرع قيمة الأمانة. *مجلة الخطباء*.

لالويت، كلير. (2003). *الفن والحياة في مصر الفرعونية، تر: فاطمة عبد الله محمود، ط1*. القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

الماجدي، خزعل. (1998). *الدين السومري، سلسلة التراث الديني للإنسان، ط1*. عمان .

الماضي، رشدي وشاهين، أحمد عمر. (1984). *الأمثال الشعبية الفلسطينية، دراسة تحليلية، ط1*. القدس، فلسطين: منشورات صلاح الدين.

المبيض، سليم عرفات. (1990). *ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية*. مصر: مطابع الهيئة المصرية للكتاب.

مجلة الخطباء. (2022). الصديقية أعلى المراتب بعد النبوة. *مجلة الخطباء، فتاوي الشبكة الإسلامية*.

مجموعة من الأساتذة في علم الاجتماع. (د.ت). *المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية*. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.

محمد، علي عبد المعطي. (1985). *مشكلة الإبداع الفني*. مصر، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

محمود، باسنت فتحي. (2022). معالم التربية القيمية المتضمنة في الأدب التهذيبي عند المصريين القدماء دراسة تحليلية. *مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد السادس والأربعون/ ج1*.

مخلف، شاكر. (بلا تاريخ). *أبناء سومر، ط1، .* عمان، المملكة الأردنية الهاشمية: دار دجلة، 1019.

مدين، محمد. (1986). *جورج إدوارد مور بحث في منطق التصورات الأخلاقية*. مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

مرسي، أحمد. (1981). *مقدمة في علم الفولكلور، ط1*. القاهرة، مصر: دار الثقافة.

مصطفى، زياد كمال. (د.ت). *فلسفة الجمال، محاضرات في فلسفة الجمال*.

المطور، عزام أبو الحمام. (2007). *الفولكلور التراث الشعبي، الموضوعات، الأساليب، المناهج، ط1*. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

مها محمد السيد أحمد. (د.ت). *الآله والأساطير اليونانية*. طنطا، مصر: مكتبة المهتدين الإسلامية.

مهران، بيومي. (د.ت). *بنو إسرائيل*.

المودودي، أبو الأعلى. (1959). *الحجاب، ط1، تر: محمد كاظم السباق*. دار الفكر العربي.

موسى، محمد يوسف. (1943). *فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها في الفلسفة الإغريقية*. مطبعة الأزهر.

موسى، محمد يوسف. (1960). *الأخلاق في الإسلام*. القاهرة.

موسى، محمد يوسف. (د.ت). *في تاريخ الأخلاق*. القاهرة –مصر: مطبعة أمين عبد الرحمن.

الميداني، عبد الرحمن. (1999). *الأخلاق الإسلامية وأسسها*. دمشق، سورية: دار القلم.

ميل، جون ستيوارت. (2012). *النفعية، ط1*. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

النجار، عمر رجب. (1987). مصادر الموروث الشعبي في التراث العربي. *مجلة الآداب*.

النزال، عيسى فاضل. (2024). *يهود العراق بين معارضة الصهيونية والاندماج فيها، ط1.* دار الكتب العلمية.

نزيقين. (2007). *ترجمة متن التلمود، تر: مصطفى عبد المعبود، ط1.* الجيزة، مصر: مكتبة النافذة.

النشار، مصطفي. (1998). *الخطاب السياسي في مصر القديمة، ط1.* مصر، القاهرة: دار قباء للنشر والتوزيع.

نور الدين، عبد الحليم. (2008). *آثار وحضارة مصر القديمة، ج1، ط7.*

الهاشمي، أيسر محمد فاضل. (2021). *دراسات في الأدب والفكر العربي (قراءة أيدولوجية)، ط1.* عمان، الأردن: دار الخليج للنشر والتوزيع.

الهدوي، محمد. (2004). *معجم الأمثال العامية في بلاد الشام، ط2، .* دمشق، سوريا: دار الفكر العربي.

هرو، بت إم. (1988). *كتاب الموتى الفرعوني (عن بردية آني)، تر: فيليب عطية، ط1.* مصر، القاهرة: مكتبة مادبولي، الفصل 125 فصل الدخول إلى قاعة (ماعتي المزدوجة).

هول، مانلي. (بلا تاريخ). *التعاليم السرية لكل العصور، تر: أنور الحمادي.*

هوميروس. (2013). *الأوديسة، تر: دريني خشبة، ط1.* بيروت، لبنان: دار التنوير.

ورث، تشارلز. (د.ت). *الإمبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبدو جرجس.* مكتبة الأسرة.

وطفة، علي أحمد. (2013). *في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة.*

ولز، هربرت. (د.ت). *معالم تاريخ الإنسانية في تاريخ الإغريق والرومان ومن عاصروهما، تر: جاويد، عبد العزيز توفيق.*

ويلكسون، ريتشارد. (2007). *قراءة الفن المصري (دليل هيروغليفي للتصوير والنحت المصري القديم)، تر: يسرية عبد العزيز*. المجلس الأعلى للآثار.

يسبرز، كارل. (د.ت). *مدخل إلى الفلسفة، ترجمة جورج صدقني*. مكتبة أطلس.

يوسف، دانا. (2014). *موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة حكم وتقاليد واستدلال*. مجمع القاسمي للغة العربية.

المراجع الأجنبية

Moore, J. (1938). *Round Table Prees.* New york: INC.

الملاحق

ملحق (أ)

شهادة قبول نشر البحث المستل من الأطروحة

عنوان البحث: قيم الخير وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني –دراسة استقرائية تحليلية–

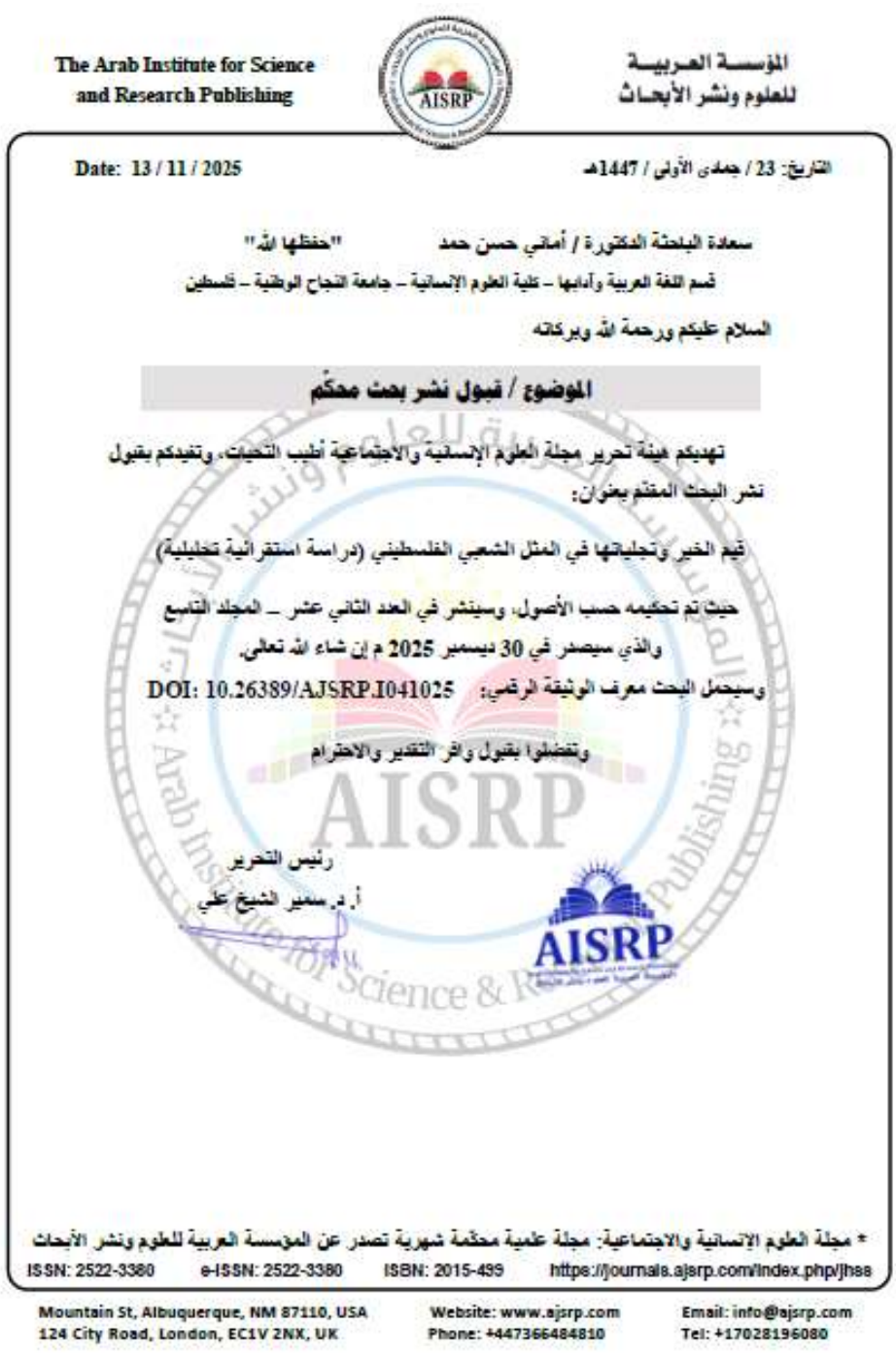

The Arab Institute for Science and Research Publishing

المؤسسة العربية للعلوم ونشر الأبحاث

Date: 13 / 11 / 2025

التاريخ: 23 / جمادى الأولى / 1447هـ

سعادة الباحثة الدكتورة / أماني حسن حمد "حفظها الله"

قسم اللغة العربية وآدابها – كلية العلوم الإنسانية – جامعة النجاح الوطنية – فلسطين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع / قبول نشر بحث محكّم

تهديكم هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية أطيب التحيات، وتفيدكم بقبول نشر البحث المقدّم بعنوان:

قيم الخير وتجلياتها في المثل الشعبي الفلسطيني (دراسة استقرائية تحليلية)

حيث تم تحكيمه حسب الأصول، وسينشر في العدد الثاني عشر – المجلد التاسع والذي سيصدر في 30 ديسمبر 2025 م إن شاء الله تعالى.

وسيحمل البحث معرف الوثيقة الرقمي: DOI: 10.26389/AJSRP.I041025

وتفضلوا بقبول وافر التقدير والاحترام

رئيس التحرير

أ. د. سمير الشيخ علي

AISRP

* مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية: مجلة علمية محكّمة شهرية تصدر عن المؤسسة العربية للعلوم ونشر الأبحاث

ISSN: 2522-3380 e-ISSN: 2522-3380 ISBN: 2015-499 https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss

Mountain St, Albuquerque, NM 87110, USA
124 City Road, London, EC1V 2NX, UK

Website: www.ajsrp.com
Phone: +447366484810

Email: info@ajsrp.com
Tel: +17028196080

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

THE HIGHEST HUMAN VALUES AND THEIR ARCHETYPES IN POPULAR POPULAR PROVERB

By

Amani Hasan Mohammad Hamad

Supervisor

Prof. Ihsan Al-Deek

This Disertation is submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Ph.D of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine

2025

THE HIGHEST HUMAN VALUES AND THEIR ARCHETYPES IN POPULAR POPULAR PROVERB

By
Amani Hasan Mohammad Hamad
Supervisor
Prof. Ihsan Al-Deek

Abstract

This work is dedicated to consolidating the human dimension and the deep philosophical rationale of higher human values, mainly through their typological models and their basis in popular heritage the predominant one being the Palestinian proverbial model. It also underscores that there are common human trains of thought that shared values lead to in different countries and cultures.

Of course, countries can differ in how much they observe, enforce, or apply these values, but it is beyond doubt that they all have them and employ them to varying degrees.

The paper is both theoretical and empirical. It examines the trinity of human values as conceived by Barton Perry the values of Goodness, Truth, and Beauty and applies that structure to the rich soil of Palestinian proverbs. Though short, they contain deep meanings that remain relevant through generations. As sources, they help provide one of the spurs or keys to their value a well from which to thirst as well as imbibe; but more than that, they represent an authenticity of value, an encapsulation of the wisdom of the ancients, the transparent simplicity of their thought, and the natural reality of their insight as they approach life with honesty, living the reality before them and acting it out in a concretely written code.

Chapter 1 provides a historical perspective that seeks to identify the roots of common human values across cultures. The second, third, and fourth chapters then investigate the extent to which each of the three universal values is apparent in Palestinian proverbs. Chapter Two focuses on truth, Chapter Three on goodness, and Chapter Four on beauty.

The study highlights that human values are embedded within Palestinian society and that Palestinians, like any other people, have an allegiance to the notions of truth, goodness, and beauty. They are a peace-loving people who value fair play, and they are patrons of charity and lovers of beauty.

Additionally, the paper, by discussing dialectical opposites, attempts to address the crisis in values in different civilizations throughout ancient and modern times. It recognizes that neither absolute goodness, nor absolute truth, nor absolute beauty stands alone. For example, evil has existed since the beginning of humanity, as documented in the narrative of Cain slaying Abel.

Rather than formulating an idealistic utopia of values, the study seeks to project and underline higher human values rather than their opposites as found in Palestinian proverbs. It hopes to elucidate the nexus between enduring human values and the collective human memory, which is materialized in proverbs and maintains its vitality under the current dangerous circumstances that pose a serious threat to their erosion.

Chapter 1 offers a historical overview intended to trace the origins of shared human values in a variety of cultures. The second, third, and fourth chapters analyze the extent to which each of these three universal values appears throughout the body of Palestinian proverbs: “truth” (Chapter Two), “goodness” (Chapter Three), and “beauty” (Chapter Four).

This leads us to emphasize that humankind's values are entrenched in Palestinian society and that Palestinians, like other nations, are bound to the ideals of truth, goodness, and beauty. They are a peaceable and fair-dealing people, generous in charity and appreciative of beauty.

Furthermore, the paper, through the treatment of dialectical antagonism, seeks to resolve a crisis in values across various civilizations of the past and present. It insists that there is no such thing as absolute goodness, truth, or beauty in isolation. For one thing, there has always been evil since the dawn of man, as seen in the story of Cain and Abel.

Instead of constructing an idealistic, valuative utopia, the study aims to project and highlight higher human values rather than their opposite, as can be found in Palestinian proverbs. It intends to demonstrate the connection between human values and collective memory, which have crystallized into proverbs that remain vivid even in these critical times, threatening to become extinct.

Keywords: Human values, values of truth, values of goodness, values of beauty, Palestinian popular proverbs, universal commonality, dialectical opposites.